

DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190229

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب
نَفْحُ الطَّيِّبِ
فِي

الْحِطَاءِ وَالْخَطِيئَاتِ

أثر

معروف الرصافي

منتفك مبعوث

طبع بمطبعة الاوقاف الاسلاميه
بدار الخلافة العلميه

١٣٣٦ - ١٩١٨

كتاب نفج الطيب في الخطابة والخطيب



تأليف

معلم الخطابة العربية في مدرسة الواعظين
بدار الخلافة العلية مبعوث المنتفك

معروف الرصافي



الطبعة الاولى

طبع بمطبعة الاوقاف الاسلاميه
بدار الخلافة العلية

١٣٣٦-١٩١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمد لله وثناء عليه وصلاة وتسليما على محمد رسوله وحبه وعلى
آله وصحبه وجنده وحزبه

وبعد فقد قرأت كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ونظرت فيه
بامعان فوجدت فيه من فنون البيان ما يفتق اللسان ويحلب الجنان
الا انه احتوى على الغث والسمين وجاء بالبخس والتمين فكم وجدت
فيه من درة الى جنبها خزفة ومن جمانة مقرونة بحصاة ومن تذور
ذهب يخللها مخشاب وكثيرا ما يخرج في كلامه عن الصدق فينبأ
يتكلم عن شيء اذ تركه قبل التمام وخرج منه الى شيء آخر
لا يقتضيه المقام . وطالما وعد بذكر اشياء ثم لم يذكرها وذكر اشياء وهو
لم يعد بها ولقد خيل لي ان الجاحظ عند تأليف هذا الكتاب كان يأخذ
القلم فيكتب ما خطر له وعن من غير مراعاة لظير يطالب ذكر نظيره
وقربن يدعو الى اثبات قريبه حتى اذا كتب ما شاء الله ان يكتب ترك
الكتابة ثم عاد اليها في وقت آخر فاخذ يكتب ما خطر بباله ايضا
دون مراعاة ما كتبه قبلاً وهكذا الى آخر الكتاب سوى ان الذي
كتبه كله لا يخرج عن حد البيان فالبيان هو الامراة جامع بين كل ما اثبتته
في ذلك السفر . فمن جهة انه لا قران بين اكثر الاقوال التي اوردها
كان كتابه اشبه شيء بكشكول العاقل ومن جهة انه كان يكتب فيه
ما خطر على باله مما سمع وروى كان كتابه اشبه بفكرة يحملها المرء
فيثبت فيها كل يوم ما اراد اثباته من قول وعمل . وليس هذا بعجيب
فان عصر الجاحظ حديث عهد بالتأليف اذ كان المؤلفون ولا سيما كتب

الادب لا يعتمدون فيما يكتبونه الا على ما رووه وسمعوه واستظهروه وحفظوه . ولا يظن القارئ اني اريد بكلامي هذا ان انحس الجاحظ كتابه او انتقصه حقه وفضله فان الجاحظ امام من ائمة الادب وجهبذ من جهابذة العرب فما انا من نظرائه ولا من اكفائه ولئن قصر في كتابه هذا بعض التقصير فله فيه من الحسن الاحسان والفضل والافضال مالا يعفو اثره كرامة الزمان ولا ننوشه ايدي الفضلاء من ذوى البلاغة والبيان فهو على علاقته درة يتيمة وطرفة كريمة وليست رسالتي هذه الامستخاصة منه ومالي فيها سوى التمحيص والترتيب فكأني عمدت الى درر متفرقة فنفيت عنها الرغام وجمعتها في نظام فما انا فيها الا متطفل على موائد فضله ومغترف من بحر علمه وغاية ما هنالك انك اذا عنيت بالخطابة والخطيب وجئت الى كتاب الجاحظ فقلبت قلبه ظهر البطن لم تجد فيه مما عنيت به سوى لمع متفرقة لا تشفى منك علة ولا تبرد لك غلة اما اذا رجعت الى رسالتي هذه فانك تجد فيها ما يكفيك ولو سداداً من عوز فهذه الرسالة تغيب في هذا الباب عن كتاب الجاحظ ولا يغنيك كتاب الجاحظ عنها . والذي دعاني الى وضع هذه الرسالة هو انهم عهدوا الى بدرس الخطابة العربية في مدرسة الواعظين بقسطاطية ولم يكن عندي من الكتب التي ارجع اليها في هذا الفن سوى كتاب الجاحظ المذكور فاستخرجت منه هذه الرسالة بعد ان طالعت بتدبر من اوله الى آخره اكثر من عشرين مرة وقد سميتها « نفع الطيب في الخطابة والاطيب » والله اسأل ان ينفع بها الطالبين ويجعل اجرها للجاحظ رحمه الله انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير .

وانا الفقير اليه تعالى

معروف الرصافي

المبحث الاول

ف

اليان

قال الجاحظ المعانى القائمة فى صدور العباد المتصورة فى اذهانهم الحادثة عن فكرهم مستورة خفية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة فلا يعرف الانسان ضمير صاحبه وانما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها بما يدل عليها ويكشفها فيجعل الحفى منها ظاهرا والغائب شاهدا . وعلى قدر وضوح الدلالة يكون اظهار المعنى فكلمما كانت الدلالة اوضح وافصح كان المعنى اظهر . والدلالة الظاهرة على المعنى الحفى هو اليان .

فاليان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير كائناً ما كان ومن أى جنس كان لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى الفائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شئ بلغت الافهام و اوضحت عن المعنى فذلك هو اليان فى ذلك الموضع .

واعلم ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسطة الى غير غاية وتمتدة الى غير نهاية واسماء المعانى اى الالفاظ مقصورة ممدودة ومحصلة محدودة فلا بد اذاً من امور غير الالفاظ تكون رداً لها فى الدلالة على المعانى . وجميع اصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص ولا تزيد . اولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الحظ ثم الحال وتسمى نصبة والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات . ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بأئنة من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية اختها وهى التى تكشف لك عن اعيان المعانى فى الجملة وعن حقائقها فى التفسير .

ولاشك ان مدار الخطبة على اليان وان التفاضل الذى يجرى

في الخطابة هو التفاضل الجارى في البيان لان الخطبة هي جملة من القول يقصد فيها الى الترغيب فيما ينفع الناس من امور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على المدح والفخر وغير ذلك . وكذلك الوصية الا ان الفرق بين الخطبة والوصية هو ان الخطب تكون في المشاهد والمحافل والجامع والايام والمواسم والنفاجر والتشاجر ولدى الكبراء والامراء ومن الوفود في امر مهم . اما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين اولشخص مخصوص في زمن خاص على شئ خاص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته او سيد لفيلته عند حلول مرض او محاولة نقلة او ماشابه ذلك .

ان كل الامم في حاجة الى الخطابة وكانت العرب من احوج الامم اليها ولذلك ارتقت في الخطابة مرتقى فاقت فيه على غيرها من سائر الامم اذ لا يخفى ما كانت عليه العرب ايام جاهليتهم من الانفة والفاخر بالاحساب والانساب والمحافظة على سرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوفاع العظيمة . ولانك ان كل قوم لهم مثل ذلك هم احوج الناس الى ما يستنهض همهم ويوقظ اعينهم ويقم فاعدهم ويشجع جانبهم ويشد جانبهم وينير اسبابهم ويستوقد نيرانهم صيانة لغزهم ان يستهان ولشوكتهم ان تستلان وتشنأ باخذ النار وتحرزاً من عار الغلبة وذل الدمار وكل ذلك من مقاصد الخطب فكانوا احوج الناس اليها بعد الشعر لتخليد ما اثرهم وتأبيد مفاخرهم . ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان .

وكان للعرب اعناء بالخطيب في جاهليتهم وللخطباء عناية بهم فكانوا يخبرون لها اجزل المعاني وينتخبون لها احسن الالفاظ لخصيلا لغرضهم ونبيلا لمقصدهم فان الالفاظ الرائعة والمعاني الجزلة اوقع في النفوس

واشد تأثيراً في القلوب ولذلك ورد «ان من البيان لسحراً» والاذن للكلام البليغ اصنى واوعى . والترغيب في العاجل والارهاب في الآجل اللذان هما من اهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تحلب القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما .

ولما كان البيان لا يكون باللفظ فقط بل بغيره ايضا من الدلالات الاخر المتقدمة عدت اوضاع الخطيب واشارته باليد ونحوها في أثناء خطبته من تمة بيانه للسامعين ولذا كان من عادة العرب في الخطابة ان الخطيب منهم اذا تفاخر او تنافر او تشاجر رفع يده ووضعها وادى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذلك اعون له على غرضه وارهب للسامعين واوجب لتيقظهم . ومن عادتهم ايضا في الخطابة اخذ المحصرة بايدهم وهي مايتوكلأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يعتمدون على الارض بالعصى ويشيرون بالعصا والقنا وكانوا يستحسنون في الخطيب ان يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره وسيأتيك تفصيل ذلك كله .

المبحث الثاني

ف

قوام الخطابة وآدابها

قال الجاحظ في كتاب البيان فال ابن جرير رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليتها الاعراب وبهاؤها تحير اللفظ وتمامها الاشارة .

تري ان ابن جرير قد ذكر في كلامه هذا ستة امور ثلاثة منها ضرورية فلا تقوم الخطابة الا بها ولا يكون الانسان خطيبا ما لم يحصل عنها وهي الطبع والدربة ورواية الكلام . واهم هذه الثلاثة الطبع ولذا جعله ابن جرير رأس الخطابة فكما ان الحيوان بلا رأس لا يكون فكذلك

من لم يكن له طبع في الخطابة لا يكون خطيبا وان كان من اهل الفصاحة واللسن وكذلك من لم يكن له طبع في الشعر لا يكون شاعرا وان كان ذابلاغة وبيان . وهذا مما الامرية فيه وقد صرح به الجاحظ في البيان والتبيين حيث قال قال مسامة بن عبد الملك انصيب يا ابالحجاء أما تحسن المهجاء قال أما تراني احسن مكان عافاك الله لا عافاك الله . ولاموا الكميت ابن زيد على الاطالة فقال انا على القصار اقدر وقيل للعجاج مالك لا تحسن المهجاء قال هل في الارض صانع الا وهو على الافساد اقدر . قال وهذه الحجج التي ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج انما ذكروها على وجه الاحتجاج اهم وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة اذ قد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ويكون له طبيعة في التجارة وليس له طبيعة في الفلاحة ويكون له طبيعة في الحداة او في التعبير او في القراءة بالالحن وليس له طبيعة في الغناء وان كانت هذه الانواع كلها نرجع الى تأليف اللحن ويكون له طبيعة في الناي وليس له طبيعة في السرناى ويكون له طبيعة في قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين ويكون له طبع في صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرها ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر ومثل هذا كثير جدا اه . فقد تبين لك ان من لم يكن له طبع في الخطابة تعذر عليه ان يكون خطيبا ولذلك جعله ابن جرير رأس الخطابة . ثم تأتى بعده الدربة وهي المراتة والممارسة مع شئ من الجراءة ورباطة الجاش فان كان ذا طبع في الخطابة وجب عليه للتبريز فيها ان يكون ذا دربة بها بتمرنه عليها وممارسته اياها وتعويد نفسه الوقوف في مواقفها حتى يحصل له بذلك من جرأة الجنان في معرض البيان ما يكون به خطيبا مصقعا . وقد جعل ابن جرير الدربة عمود الخطابة وفي ذلك اشارة الى ان الذى لم يكن في الخطابة ذا دربة كان

طبعه في الخطابة غير مجد نفعا لانه يكون كمن له بيت وليس له عمود
يقوم عليه ذلك البيت وقد قال الشاعر

والبيت لا يبنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس او ناد

ثم تأتي بعد الدربة رواية الكلام والمقصود برواية الكلام هو ان
يكون الخطيب ذا علم باخبار الناس وانسابهم ونواديرهم واحوالهم ومراتبهم
وبكل ما يحتاج اليه الخطيب في موقف الخطابة . وحلاصة القول ان يكون
الخطيب غزير المادة فانه اذا لم تكن للخطيب مادة يستمد منها في الخطابة
تعذر عليه ان يقف موقف الخطيب وان كان في الخطابة ذا طبع ودربة .
وقد جعل ابن جرير رواية الكلام جناح الخطابة يشير بذلك الى ان
من لم يكن ذا رواية للكلام كان كطائر مقصوص الجناحين لا يستطيع
التحوض ولا الطيران .

فهذه الامور الثلاثة اعنى الطبع والدربة ورواية الكلام مما لا بد منه
للخطيب ولا تقوم الخطابة الا بها . واما الثلاثة الاخرى وهى الاعراب
وتخير اللفظ والاشارة فهى امور كمالية لازورية اذا اعراب في الخطبة
حلية وزينة فاذا وقع اللحن فيها سقطت تلك الحلية . وذهبت تلك الزينة
كما ان تخير اللفظ حسن لها فاذا جاء الخطيب في خطبته بالفاظ مبتذلة مرذولة
ذهب الحسن من خطبته ولم تكن لكلامه طلاوة غير ان مصيبة الخطيب
الراذل اعظم من مصيبة الخطيب اللاحن لان اللاحن مغتفر وان كان معيبا
وقد وقع لكثير من الخطباء الاولين كما سنذكره في محله ولكن الخطيب
اذا رذل الفاظه وجاء بها غير متخيرة ولا متقاة لم تطفه الاسماع مقادتها
ولم يكن لكلامه وقع كبير في النفوس فيفوته الغرض من الخطابة وليس
كذلك اللاحن . واما الاشارة فسنتكلم عليها فيما يأتى ان شاء الله تعالى .
اما آداب الخطابة فاعلم ان من آداب الخطيب في الخطابة ان يلخص المعانى

كما ذكر ذلك الجاحظ عن ابن جرير ايضا فان تلخيصها رفق بالسامعين وان يترك الغريب من الالفاظ فان الاستعانة بالغريب عجز وان لا يتشادق فان التشادق من غير اهل البادية بغض والتشادق هو ثكلف الفصاحة بان يتكلم كالاشدق وليس هو بانساق وكذلك التعقير وهو ان يخرج كلامه من اقصى الفم اى من الحاق وكذلك التعقيب وهو تقييد الكلام واخراجه من اول الفم من غير توفية الحروف حقها من مخارجها فان ذلك كله مذموم وممقوت . وقد قال الشاعر في رجل يعقر قوله :

يقعر القول لكما تحسبه من الرجال الفصحاء المعربة
وهو اذا حققته من كربة من نخلة نابتة في خربة

ومن آداب الخطيب ان لا ينظر في عيون الناس فان ذلك عى وان لا يمس لحية فان مس اللحية هالك وان لا يخرج ممبأى عليه اول الكلام فان خروجه من ذلك اسهاب . ومن آداب الخطابة ان لا يستعين الخطيب في خطبته بالحشو من الكلام وتفسير ذلك ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان قال حدثني صديق لى قال قلت للعتابى ما البلاغة قال كل من افهمك حاجته من غير اعادة ولا حبة ولا استعانة فهو بليغ فاذا اردت اللسان الذى يروق الالسنه وبفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق قال فقلت له قد عرفت الاعداد والحبة فما الاستعانة قال اما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه يا هذا ويا هذا واسمع منى واستمع الى وافهم عنى اولست تفهم اولست تعقل فهذا كله وما شبهه عى وفساد اه . فهذا وما انشبهه معدود من الحشوالذى لا طائل تحته فينبى للخطيب ان يجتنبه . واما الاعداد التى ذكرها فهمى ان يعيد الكلمة او الجملة مرتين لكى يتأنى له ما بعدها وذلك ايضا من دلائل الحى واما الحبة فهمى ان يتعذر عليه الكلام عند ارادته فيتوقف فى اثناء خطبته عن الكلام

هنية فيجربى كلامه متقطعا غير منسجم ولا متسلسل وسنذكر الحيسة عند الكلام على معائب الخطيب فيما يأتى .

المبحث الثالث

ف

محاسن الخطباء ومعائبهم

قلنا فيما سبق ان انواع الدلالات فى البيان خمسة او اهما اللفظ وانذكر هنا ما يتعلق باللفظ من محاسن الخطيب ومعائبه فنقول كل ما كان فى الخطيب معينا على الافصاح فى اللفظ فهو من محاسنه وكذلك كل ما كان مخلا بالافصاح فى لفظه فهو من معايبه . فى محاسنه جهرارة الصوت فان الخطيب اذا كان جهير الصوت كان لفظه اوضح وتأثيره فى هوس السامعين اشد فان الصوت الضئيل لا يؤثر تأثير الجهير وهذا هو السبب الذى حل المتشادقين على التشادق والتقير لان العرب كانوا مدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت ولذلك مدحوا سعة النغم وذموا صغره قال محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابي ما الجمال قال طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت . وبذلك على تفضيلهم سعة الاستدق ومحجائهم ضيق الافواه قول الشاعر

حالا الله افواه الدبى من قيلة اذا ذكرت فى الثائبات امورها

وانما شبه افواههم بافواه الدبى لصغر افواههم وضيقها . وقد كان العباس بن عبد المطلب جهير الصوت وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين بجهرارة صوته يوم خيبر حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس يا اصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فراجع القوم وانزل الله

عن وجل النصره واتى بالفتح . وقال العجير السلولى فى سدة الصوت

لو ان الصخور الصم يسمعن صلفنا لرحن وفى اعراضهن فطور
الصلق سدة الصوت وفطور سقوق وقال بشار بن برديهجو ببض الخطباء
ومن عجب الايام ان فت ناطقاً وانت ضئيل الصوت متفخ السحر
فعابه بضؤولة الصوت وبالسعال اثناء الخطبة لانتفاخ سحره والسحر
الرئة وفى تفضيل الجهاره فى - اطلب نقول نبة بن عقال بعقب خطبه عند
سلمان بن على بن عبدالله بن عباس :

الايت ام الجهم والله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامى
عشة بذالناس جهرى ومنطقى و بدكلام الناطقين كلامى

وقال طحلاء يدح مـاوية بالهارة وبجودة - الخطبة :

ركوب المناير وثابها معن بخطبه مجهر
تريع البه هوادى الكلام اذاخل خطبه المهذر

معن تعن اى تعرض له الخطبة فيخطبها مفضبا لها وتريع اليه ترجع اليه
وهوادى الكلام او ائذ يقراد ان مـاوية بخطب فى الوقت الذى يذهب فيه
كلام المهذر والمهذر المتكثار . وكان ابو عمرو الذى يقال له ابو عمرو
السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخلها ويذهب هارباً على وجهه
فضرب الشاعر به المل وهو النابغة الجعدى فقال

وازجر الكاشح العدو اذا اغتا بك عندى زجراً على أضم
زجر ابى عمرو السباع اذا استفق ان يلتبس بالغم

وكان شيب بن زيد بن نعيم يصيح في حبات الجيش اذا ناله فلا يلوى احد على احد وقال الشاعر فيه

ان صاح يوما حبات الصخر منحدرأ والريح عاصفة والموج يلتطم

ومن محاسن الخطيب ان يكون شديد العارضة والعارضة هي البيان واللس والجلد والقدرة الفائقة على الكلام . ومن محاسنه ان يكون نابت الجنان رابط الجأش وبعبارة اوضح ان يكون ذا جرأة في القول لا بتهيب خصام المخاصمين وان كنزوا ولا كثرة المجادلين وان عظموا وعليه نجمعوا . ومن محاسن الخطيب ان يكون كثير الريق بحيث لا يحجب فمه اذا اطال الخطبة لان الريق اذا جف في الفم صعب عليه الكلام وتلجأ فيه ولذلك نرى الخطباء اليوم اذا اراد احدهم ان يخطب في بعض المجمع والمحافل وضموا له في جانبه سربة ماء ليسرب منها في اثناء الخطبة جرعاً يستعين بها على الكلام .

وقد جعل بعضهم من محاسن الخطب ان يكون داهبه حسن الازة حسن السميت جميل الصورة جميل المنظر . وقد خالف هذا القول سهل ابن هارون واحتج في ذلك فانثالوان رجلين خطبا او محذنا وكان احدهما جميلاً جليلاً بهياً نبيلاً و ذا حسب سريفاً وكان الآخر قايلاً قبيلاً وباذ الهيئة رث الثياب خامل الذكر مجهولاً ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة ووزن واحد من الصواب اتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقايل الذمم على النيل الجسم وللباد الهيئة على ذى الهيئة واشغلمهم التعجب منه عن مساواة صاحبه له ولصار التعجب منه سبباً للعجب به ولكن الاكثار في شأنه علة الاكثار في مدحه لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه أئس ومن حسدء ابعء فاذا همجوا منه على مالم يحتسبوه وظهر منه خلاف ما قدرود تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم

لان الشئ من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكلما كان ابعد في الوهم كان اظرف وكلما كان اظرف كان اعجب وكلما كان اعجب كان ابدع وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك اسد وتعجبهم به اكثر

وانت تعلم ان القول الاول هو انصواب اذ لانك ان جمال الصورة وبهاء المنظر وحسن الهيئة والسمت امور ممدودة من تمامات الكمال وفي كلام سهل بن هارون نبي من المغالطة اذ لو سلمنا ان الناس يقضون لذلك الرجل الديم الرث الهيئة مع مساواة صاحبه له في البلاغة لانسلم انهم قضوا له بسبب دمامة منظره ورثانة هيئته بل هم انما قضوا له بسبب تعجبهم منه من حيث انهم كانوا لا ينتظرون منه تلك البلاغة ولا يتوقعون منه تلك البراعة كما قد اعترف به سهل بن هارون نفسه وعدم انتظارهم منه ذلك دليل على ان دمامة المنظر ورثانة الهيئة نقص عندهم . هذا ما ذكرناه من محاسن الخطيب وسنأتي على ذكر ما به في الدرس الآتي .

المبحث الرابع

ف

معاييب الخطيب

كل ما كان في الخطيب بخلا بافصاحه في اللفظ عدد من معاييب فمن معاييبه ان يكون لجلاجا اى مترددا في كلامه واللجاجة هي التردد في الكلام كأن يكرر الكلمة حتى يتأني له النطق بما بعدها ويقابها الذلاقة والطلاقة يقال لسان ذليق وخطيب ذليق ولسان ذليق طليق كل ذلك اذا كان ذاحدة وبلاغة وفصاحة وقال الله في اللجلاج

ليس خطيب القوم بالجلال ولا الذى يزحل كالهلباج
ورب ببداء وليل داج هتكته بالصر والادلج

ويدخل فى باب اللجلج الخطيب الذى تعرض له التخنجة والسعة
وذلك اذا انتفخ سحره اى رثته فان ذلك ايضا نوع من اللجلجة
والتردد فى الكلام وفى قال سحيم بن حفص :

نعوذ بالله من الالهال ومن كلال الغرب فى المفال
ومن خطيب دائم السعال

وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك ايضا :

ومن الكبائر مقول متنعع جم التخنج متعب مجهود

وقال الاثل البكرى فى زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقة
وكانا قد اجتمعما فى بعض المحافل :

نخنح زيد وسعل لما رأى وقع الاسل
ويل امه اذا ارتجل ثم اطال واحتفل

ومن معاييب الخطيب ان يكون تتماماً والتمتة هى رد الكلام الى التاء
والميم وقيل التتمام هو الذى تسبق كلمته الى حنكه الاعلى وعن ابى زيد ان
التتمام هو الذى يعجل فى الكلام ولا يفهمك والصحيح ما قاله الاصمعى
حيث قال اذا تنعع اللسان فى التاء فهو تتمام واذا تنعع فى الفاء فهو
فأفاء وفى ذلك يقول ابو الزحف

لست بفأفاء ولا تتمام ولا كثير الهجر فى المنام

وانشد ايضا للأخولانى

ان السياط تركن لاستك منطقاً كمقالة التمام ليس بمعرب

فقد جعل الحولاني التمام غير معرب عن معناه ولا مفسح بحاجته ومن معاييه ايضا ان يكون فافاً والفافاء هو الذي يكثر الفاء ويتردد فيها في كلامه وقد تقدم في ذلك قول الاصمعي وقيل الفافاة حبسة في اللسان وقال المطرزي الفافاء هو الذي لا يسدر على اخراج الكلمة من لسانه الا بجهد يتبدى في اول اخراجها بشبه الفاء ثم يؤدي بعد الجهد حروف الكلمة على الصحة . والصحيح هو القول الاول .

ومن معاييه ان يكون النغ وهو الذي يحول لسانه من حرف الى حرف آخر كأن يتحول لسانه من السين الى التاء او من الراء الى العين او غير ذلك . و ذكر الجاحظ في كتاب البيان ان الحروف التي تدخلها اللثغة اربعة القاف والسين واللام والراء قال واللثغة التي تعرض للسين تكون ناء كقوله لاني يكسوم ابي يكشوم وكما يقولون بثرة اذا ارادوا بسة وبثم الله اذا ارادوا بسم الله واما اللثغة التي تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا اراد ان يقول قلت له فانه طلت له واذا اراد ان يقول قال لي قال طالي واما اللثغة التي تعرض للام فان من اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتلت اعيتت وبدل جعل جحي ومنهم من يجعل اللام كافاً كالذي عرض لعمر اخي هلال فانه كان اذا اراد ان يقول ما العلة في هذا قال ما الكعكة في هذا واما اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذي يعرض لها اربعة احرف فمنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمي فيجعل الراء ياء ومنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمخ فيجعل الراء غينا ومنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمد فيجعل الراء ذالا واذا انشد قول الشاعر

واستبدت مرذ واحدة اما العجز من لا يستبد

قال :

واستبد مدة واحدة اما العجز من لا يستبد

ومهم من يجعل الرء ظاء معجمة ويقول اذا اشد هذا البت

واستبدت مظنة واحدة اما العجز من لا يستبد

والذى يجعل الرء غيبا معجمة تقول اذا اشد هذا البت « واستبدت
معة واحدة » واما اللعة الخامسة التى كانت تعرض فى الرء لواصل من عطاء
وسليمان بن يزيد العدوى الشاعر فليس الى تصور هاسيل وكذلك
اللغة التى كانت تعرض فى الشين لمحمد بن الحجاج فان تلك ايضا ليس لها
صورة فى الخط نرى بالعين واما يصورها اللسان وتأتى الى السمع .

وربما اجتمعت فى الواحد الغبان فى حرفين كحوا لعة - سوسى
صاحب عبدالله بن خالد الاموى فاما كن بجمل اللام يا . والرء ياء قال
مرة « مويى وى اى » برى مولاي ولى الرى . واللعة فى الرء اذا كانت
بالياء فهى أحقرهى . اتى على الظاء . التى على الذال فاما التى على الغين
فهى ايسرهى ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهده واحذ لسانه
وتكلف مخرج الرء على حقها والافصح بها لم يكن بعدا . من ان نجيه
الطبعة

واعلم ان اللعة اما ان تكون حافية فطرية واما ان تكون ناسئة
عن عجمة اللسان ولكنته كما نسمعه فى كلام الاناجم او فى كلام العرب الذين
هم يرتضخون اللكنة بسبب محالطتهم المعجم ردحا من الدهر فانا نسمع
الترك والفرس عند نطقهم ببعض الكلمات العربية يجعلون الذال زاياء
فيقولون فى ذلك ذالك وفى الذى الذى ويقولون فى ذليل ذليل وكذلك
هم فى الظاء فيقولون فى ظالم ظالم وفى مظلوم مزلوم وفى نظر نزر ويجعلون الثاء

سينا فيقولون في ثلاثة سلاسة وفي اثنين اسنين وفي اثم اسم وقد سمعت مرة احدهم يقرأ قوله تعالى ان بعض الظن اثم فقال (ان بعض الزن اسم) فقلت له وان بعضه فعل فقطن لما اردت واخذ بالضحك وكذلك المضاد فانهم يجعلونها زايا ايضا كما رأيت في المثال المتقدم الا انهم ينطقون بالزاء في ذلك كله مضممة وكذلك نرى اليوم بعض العرب الذين طرأت الالكنة على لسانهم بطول اختلاطهم مع العجم فان اهل سورية يجعلون الذال والطاء زايا كما يجعلون المضاد دالامفخمة فيقولون في الضرب الدرب وربما جعلوها زايا ايضا فيقولون في ضابط زابط ويجعلون القاف همزة فيقولون آل بدل قال وأنت بدل قلت وألم بدل قلم وكذلك اهل مصر يجعلون اللاء تاء فيقولون في كثير كثير وربما جعلوها سينا ايضا ويجعلون الجيم كافا فارسية فيقولون في جمل كمل واهل العراق يجعلون القاف كافا فارسية فيقولون في قائم كائم وفي قاعد كاعد كما يجعلون الكاف جيما فارسية فيقولون كذب جذب ويقولون بدل كان جان . غير ان هؤلاء الدرب فادرون على ترك هذه اللغة فان السورى قادر على النطق بالذال مثلامن مخرجها وكذلك الراق قادر على النطق بالقاف والكاف من مخرجهما والمصرى قادر على النطق بالجيم من مخرجها بخلاف غيرهم من العجم فان التركي مثلا غير قادر على ترك لغة الا بالتدرب والممارسة الطويلة وربما استعصى عليه تركها بالمرّة . ولقد كان في قديم الزمان اناس من العجم قد خالطوا العرب وعاشوا بينهم وتكلموا بلسانهم وفهم الشعاع والخطيب ولكنهم مع ذلك لم تفارقهم الالكنة الاعجمية بل كانوا اذا تكلموا لتعوا في كلامهم بتغيير بعض الحروف فمن هؤلاء زياد بن سالحى ابو امامة وهو زياد الاعجم قال ابو عبيدة كان ينشد قوله .

فتى زاده السلطان فى الود رفعة اذا غير السلطان كل خليل

قال كان يجعل السين سينا والطاء تاء فيقول « فتى زاده الشلتان

في الود رفعة» ومنهم سحيم عبد بن الحسحاس قال له عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقد انشده قصيدته التي اواها

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والسلام للمرء ناهيا

لوقدمت الاسلام على الشيب لاجزئك فقال ماسعرت بريد ماسعرت
فجعل الشين سينا . ومنهم عيدالله بن زياد والى العراق قال لهاني بن
قيصة أهروزي سائراليوم يزيد أحروري . ومنهم صهيب بن سنان
النمرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انك لهائن بريد
انك لحائن و صهيب بن سنان هذا كان يرتضخ لكنة رومية وعيدالله
ابن زياد كان يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء واما
ازدايقادار فانه كان يرتضخ لكنة نبطية وكان مثلهما في جعل الحاء هاء
وروى بعضهم انه املى على كاتب له فقال اكتب الهاصل المفكر فكتبتها
الكاتب بالماء كما انطق بها فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب فلما فطن
لاجتماعهما على الجهل قال انت لا تهس ان تكتب واما لا هسن ان
املى فاكتب الجاصل المفكر فكتبتها بالجم . ومنهم ابومسلم صاحب
الدعوة كان جيد الانماط جيد المعاني وكان اذا اراد ان يقول قات له
قال قلت له فشارك في تحويل الفاف كافا عبدالله بن زياد . وكان لزياد
عبد اسمه قيل قال مرة لزياد اهدوا النسا هار وهش بريد حمار وحشر
فقال له زياد وأى شئ أقول ويملك قال اهدوا النسا أبر بريد عيرا فقال
زياد الاول اهون . وفات ام ولد لجرير بن الخطمي لبعض ولدها وقع
الجردان في عجان امكم ابدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم
وجعلت المعين عجانا ، وقال ابن عباد ركبت عجوز سندية جلا فله
مشى تحتها متخلعا اعتراها كهينة حركة الجماع فقالت هذا الذمل يذكر
بالسر فجعلت الشين سينا والجم ذالا .

ومن معاييب الخطيب ان يكون ذاحبسة والحبسة هي تعذر الكلام عنه

ارادنا ونقال في لسانه حبة ادا كان الكلام بثقل عليه ولم يبلغ حد النفاة والتمتاع كما يقال في لسانه اكنة ادا دخل بعض حروف المعجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول . ومن قال . ان الحبة هي نغذر الكلام عند ارادته فقد جعلها من قبيل الحصر والى في المنطق والصحيح انها تعسر الكلام لا تندرده ومعنى ذلك ان صاحب الحبة هو من اذا اراد ان تكلم ثقل عليه الكلام باقل مما يثقل على النفاة والتمتاع .

ومن معائب الخطيب ان يكون ذا حكمة وهو الذي لا يسمع صوته اذا تكلم وهذه تقابل جهاز الصوت التي هي من محاسن الخطيب كما مر . والحكمة ما لا يسمع له صوت كالذر ويقال تكلم كلام الحكيم اي كلاما لا يفهم قال رؤبة بن العجاج .

لواي اويت علم الحكيم علم ساجان كلام النمل

وفال محمد بن دؤيب في مدح عدنانك بن صالح

وبهم قول الحكيم لوان درد نسود اخرى لم يفقه سوادها

وفال الديلمي في هجائه ابني نغاب

ولكن حكلا لا بين ودينها عبادة اعلاج علمها البرانس

قال الجاحظ « اذا قالوا في لسانه حكمة فانما يذهبون الى نقصان آلة المطلق وعجز اداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال » ولا شك ان الصوت معدود من آلة المنطق واداء اللفظ فان كان في الصوت نقص وعجز كان غير مسموع جيدا واذا كان غير مسموع جيدا فانت السامع بعض كمانه واذا فانت السامع بعض كمانه صار لا يعرف معانيه الا بالاستدلال وخلاصة القول ان الحكيم هو ما لا يسمع له صوت فالحكمة اذا عيب خاص الصوت ولكنهم ربما توسعوا في ذلك فاطلفوا الحكيم على كل من لا يحسن

البيان سواء كان دلت لعجز في صوته او لغر دلت كما رأيت في بيت
الخممي الذي تقدم حيث قال

واكن حكلا لاسين ودينها عادة اعلاج عابها البراس

فقد جعل بني تغلب حكلا وفسره بقوله لاسين ولم يفسد ان ي
تغلب كلهم اصواتهم غير مسموعة

ومن معائب الخطب ان يكون ألف اي بلسانه لمف وهو الذي اسكنهم
ملاء لسانه فيه وكان يظن الكلام قال ابو عبد الله اذا حل الرجل بعض
كلامه في بعض وهو المف وقيل بلسانه لمف واشد لاني ارحف الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق من طول فربس وهم وادق

يقول كأنه لما جالس وحده ولم يكن له من بكلمه وطال علمه دلت
اصابه لفف في لسانه وكان يزيد بن حار قاضي الارارفة بعد المنفصل
يقال له الصموت لانه لما طال صمته نقل علمه الكلام فكان لسانه يابى
ولا يكاد يسمي . وفهم من هذا ان اللقف اما ان يكون عارضا من طول
الصمت وترك ممارسة الكلام واما ان يكون حائضا بمعنى ان صاحبه كذا
خاف .

ومن معائب الخطب ان يكون هذرا وانهدرته هي العجلة والاسراع
في الكلام وانشد الاصمعي .

حديث بني زط اذا ما لفبنهم كبر والدي في العرفج اشقارب

قال ذلك حين كان في كلامهم عجلة فشبه كلامهم بتتابع الاصوات
الحاصلة من تواب الدبي بين سجر العرفج والدبي اصغرا جراد وفيل
الجراد قيل نبات اجنحته الواحدة دابة . وقال سلامة بن عباس

كأن بني رالان اذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهم سويق

قال ذلك لركة اصواتهم وعجلة كلامهم لان الفراريج اذا ألقى لها

الحب صرن ينقدنه بناقيرهن ويصوتن عند نقده اصواتا متقطعة متتابعة فهذمة بنى رالان في كلامهم كاصوات هذه الفراريح من حيث انها غير مفهومة اذ لا تسلك ان العجالة في الكلام لم تكن امرا معيا الا لكونها مخلة بفهم المعنى عند السامع .

وقد تبين لك من هذه المعاييب التي ذكرناها ان كل ما اخل بالافصاح وادى الى اختلال الصوت الذي منه تتكون الحروف كان معيبا في الخطيب واذا كان الامر كذلك فسقوط بعض الاسنان والاسيا المنايا من فم الخطيب معيب لان ذلك مؤد الى اختلال الصوت وقلة الافصاح في اللفظ . وكان سهيل بن عمرو الخطيب بخطب في العرب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قبل اسلامه فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله انزع ننييه السفليين حتى يدلع اسنانه فلا يقوم عليك خطيبا ابدا . وانما قال ذلك لان سهيلا كان اعلم فاذا نزع ثنيته السفليان عجز عن النطق باكثر الحروف ولم يصاح حينئذ ان يكون خطيبا . ومما يدل على ان سقوط بعض الاسنان معدود من معاييب الخطيب عندهم ما حكاه خلاد بن يزيد الارقط قال خطب الجمحي خطبة نكاح اصاب فيها معاني الكلام وكان في كلامه صغير يخرج من موضع ثنياه المنزوعة فاجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه الا انه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصغير فذكر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة اسنانه فقال في كلمة له

قات قوادحها وتم عديدها فله بدالك مزية لانسكر

ويروى بدل الشطر الاول « صحت مخارجها ونم حروفها » فعلى الرواية الاولى الضمير في قوادحها وعديدها راجع الى الاسنان والقوادح جمع فادحة وهي الدودة التي تنخر الاسنان يقال اسرعت في اسنانه القوادح اذا اصابها ذلك فتساقطت فكأنه قال ان اسنانه قد سلمت من القوادح

فمن عديدها ولم يسقط منها شيء فكانت له بسببها مزية في خطبته لا تسكر.
وعلى الرواية الثانية الضمير في مخارجها وحروفها راجع الى الخطبة والمعنى
ظاهر . وانت ترى ان الجمحي وزيدا كانا متساويين في البلاغة وجودة
الكلام وانما فضله زيد بتمام اسنانه وسلامة خطبته من الصغير فكان
سقوط اسنان الجمحي معيبا فيه . وقال الاحنف بن قيس نفتخر بتمام
اسنانه وهو ايبن العرب والعجم .

انا ابن الزافرية ارضعتني بسدى لا اجد ولا وخبم
أمتنى فلم تنقص عظامي ولا صونى اذا اصطك الحصوم

قال يونس بن حبيب انما عني بقوله عظامي اسنانه التي في فم وهي
التي اذا تمت تمت الحروف قال ولا يجوز ان يكون عني بقوله عظامي
عظام اليدين والرجلين اذ كيف يعنى ذلك وهو احنف من رجله جميعا .
وقد ذكروا ان معاوية لم يتكلم على منبر جماعة مذستطت نناياه
في الطست قال ابوالحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مفادهم فنه قال
له يزيد بن معن السامي والله ما بلغ احد سنك الا بغض بعضه بعضا ففوك
اهون علينا من سمعتك وبصرك فطابت نفسه . قال ابوالحسن المدائني لما
سد عبد الملك اسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما بالبت متى سقطت .
هذا اذا سقط بعض الاسنان دون بعض . اما اذا كان الحطيب ادرد
اى ساقط الاسنان كلها فلا ضمير عليه من سقوطها اذ لا يكون سقوطها
حيثذ خلا بالا فصاح ولا مؤديا الى اختلال الصوت واخراج الحروف من
مخارجها . قال محمد بن عمرو الرومي قد صحت التجربة وقامت العبرة
على ان سقوط جميع الاسنان اصاح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط
اكثرها وخالف احد شطريها الشطر الآخر وقد رأينا تصديق ذلك
في افواه قوم شاهدتهم الناس بعد ان سقط جميع اسنانهم وبعد ان بقى
منها الثلث والرابع فمن سقط جميع اسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد

ابن هشام القحذمي صاحب الاخبار ومنهم ابوسفيان والعلاء بن ليدي التقي
وكان ذابيان ولسن . وكان سفيان بن الابرذ الكلبي كثيرا ما يجمع بين
القار والحار فتساقت اسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بينا . وقال اهل
التجربة اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك
ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا
يقرعه ويصكه ولم ير في هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة فله لم
يضره سقوط اسنانه الا بالمقدار المعتفر . وقد ضرب الذين يقولون ان
ذهاب جميع الاسنان اصاح في الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر او
الثنتين في ذلك مثلا فقالوا اللحم المقصوص جناحه جميعا اجدر ان يطير
من الذي يكون احدهما وافرا والآخر مقصوصا قالوا وعلة ذلك التعديل
والاستواء واذا لم يكن كذلك ارفع احد سقيه وانخفض الآخر فلم يجدف
ولم يطير .

ومما يلحق بمعايب الخطيب الشذو وهو اختلاف بنية الاسنان في الطول
والقصر والدخول والخروج . والسن الشاغبة هي الزائدة على الاسنان
ويقال لمن فيه ذلك اسمى وما سميت العقاب بالشغواء الزيادة منقارها
الاعلى على الاسفل قال الجاحظ كان زبد بن جندب الايادي الخطيب
الازرقى اسنى اقاج ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة وقال عبيدة
بن هلال البشكري في هجائه

اسمى عقبة وناب ذو عصل وقاج باد وسن قد انصل

والعقبة من صفات العقاب يقال عقاب عقيب اى ذات مخالب
حداد والعصل الاعوجاج والقلح اصفرار في الاسنان وقال عبيدة ايضا فيه
ولفوك اسنن حين تنطق فاغراً من في قريح قد اصاب بريرا
والبرير ثمر الاراك .

وآخر ما ذكره من معايب الخطيب هنا هو ان يعتريه في اثناء الخطابة

الهر والارتعاش والعرق قال الجاحظ واءب عندهم اى العرب من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته ان يعترض الخطيب الهر والارتعاش والرعدة والعرق قال العماني في وصف خطيب

لاذفرهش ولا بكاب ولا باحلاج ولا هباب

والهش الذى يجود بعرقه سريعا وذلك عيب والذفر الكثير العرق والكابي الذى لا يكاد يعرق كالزبد الكابي الذى لا يكاد يورى شعله العماني حالا بين حالين اذا خطب .

المبحث الخامس

ف

حاجة الخطيب الى الاشارة

جرت العادة عند جميع الامم على اختلاف اسماها ان الانسان اذا تكلم احتاج فى اثناء كلامه الى الاشارة باليد والغمز بالعين والجنف والحابج والى انقاض الرأس ونحريك المنكبين والى احداث اوضاع فى يده تناسب معانى كلامه وهذا مشاهد من كل من تكلم من الناس ولا بد منه للمتكلم ولولاه لضاعت اكثر دقائق الكلام من معانيه المفسودة ولكان الكلام المسموع من فم المتكلم كالكلام المفروء فى كتاب ولما بقى فرق بين من قام خطيبا وبين من اخذ بيده صحيفة وصار يقرأ ما فيها على السامعين مع ان الفرق بينهما ظاهر لا ينكر .

ولاشك ان غرض المتكلم انما هو افهام المعنى والاشارة تشارك اللفظ فى الافهام بل قد تكون مستقلة فى التفهم كما نشاهد ذلك فى كلام الحرس فانهم انما يتكلمون بالاشارة فقط وبها يتم التفاهم بينهم وبين من اراد الكلام معهم فالاشارة تنوب عن اللفظ فى كلام الحرس وتكون عوناً له فى كلام غير الحرس .

وقد تكلم الجاحظ عن الاسارة فقال فاما الاشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب وبالثوب وبالسيف اذا تباعد الشخصان وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا قال والاسارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجان هي عنه وما اكثر ما منوب عن اللفظ وتغنى عن الخط . وفي الاسارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في امور يسترها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة وقد قال الشاعر في دلالة الاشارة :

اسارت بطرف العين خيفة اهاها	اشارة مذعور ولم تتكلم
فانقنت ان اعرف قد قال مرحبا	واهلا وسهلا بالحيب البم

وفال الآخر

وللقاب على القاب	دليل حين يلقاه
وفي الناس من انا	س مقابيس واشباه
وفي العين غنى للمرء	ان تنطق افواه

وقال الآخر

ترى عينها عني فتعرف وحيها	وتعرف عيني ما به الوحي يرجع
---------------------------	-----------------------------

وفال الآخر

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها	من المحبة او بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامته	حتى ترى من ضمير القب تيانا

هذا ومبلغ الاسارة ابعد من مبلغ الصوت فهذا ايضا بابر تتقدم فيه الاسارة على الصوت . والصوت هو الالة اللفظ وهو الجوهر الذى يقوم به التفطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما

موزونا ولا منشورا الا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف . وحسن الاسارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاسارة من الدل والشكل والتقتل والتثنى و غير ذلك من الامور .

وقد اتفق لبعض خطباء العرب انهم خطوا وكانت عماد حطبتهم الاشارة لاغير . فمن ذلك ان مصعب بن الزبير لما قدم العراق سعد المنبر فقال بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين تنلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها سبيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين (واسار بيده نحو الشام) ويريد ان من على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارين (واسار بيده نحو الحجاز) ويمكن انهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما معهم ما كانوا يحذرون (واسار بيده نحو العراق) فكان خطبته هذه وقع عظيم فى النفوس مع انه لم يأت فيها بنىء من اللمط سوى انه قرأ القرآن واسار بيده أثناء قراءته .

ومن هذا الفيل ماذ كروه من حطبة يزيد بن المنفع وذلك ان معاوية اراد ان يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد فلما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد واظهر قوم الكراهة فام رجل فقال له يزيد بن المنفع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال هذا امير المؤمنين (واسار بيده الى معاوية) فان مات فهذا (واسار بيده الى يزيد) فمن أبى فهذا (واسار بيده الى سيفه) فقال له معاوية انت سيد الخطباء .

واعلم انه ليس للاشارة من ضابط يضبط انواعها تجاه المعانى فلا يمكن تخصيص نوع من الاسارة بمعنى من المعانى كأن يقال ان نوع كذا من الاشارة باليد او بالمكنك او بالحاجب يدل على معنى كذا من الكلام دون غيره او يقال ان الاشارة على الوجه القلائى . يجب ان تكون عند

قصدا للمعنى الفلانى دون غيره . بل الإشارة على اختلاف انواعها وتعدد صورها مشاعرة بين انواع المعانى اى مغفلة عن الوضع تجاه المعانى وانما الامر فى استعمالها راجع الى ذوق الخطيب وعادته وحذقه ولباقته فكل خطيب عادة فى الإشارة بمثل عاده غيره ومن هنا يقع التفاضل بين الخطباء فى كيفة استعمال الإشارة فكلما اوقع الخطيب هذه الاشارات فى مواقعها الملائمة لها من الكلام وبرزها بصورة تناسب صور المعانى بحيث تكون متممة للمعنى وكاشفة له كان ذلك الخطيب احق بان يحرز قصب السبق فى مبدائها واجدر بان يعمد الجلى فى منسارها .

هذا هو الحكم العام الذى نبنى ان نحكم به عند تفصيل انواع الاشارة وتبين صورها - ا- لاصفة وايكن يمكن مع ذلك ان نذكر لبعض الاشارات مواقع خاصة من الكلام قد اصطحب جمهور الناس عليها فى مواضع خاصة حتى صار استعمالها فى مثل تلك المواضع متعارفا بينهم ومألوفا لهم ولذا كررنا امثلة من ذلك ففول قد جرت العادة ان المتكلم اذا ذكر الزمان الماضى اشار بيده الى خلف بان يرفع احدى يديه نحو كتفه مبسوطا او مقبوضة دون الاسهام واذا ذكر المستقبل اشار بها الى الامام بان يمدها الى الامام مبسوطا او مقبوضة دون السبابه واذا ذكر الزمان الحاضر اشار بها الى تحت نحو قدميه واذا استفهم عن الزمان او المكان كأن يقول مثلا (متى جاؤا واين ذهبوا) متبدء مفتوحة الكف وحركتها بحركة خفيفة افقة واذا تعجب من شئ قاب كفه او كفيه مفتوحة نحو السماء وقد ذكر الشيخ الأكبر فى كتابه شاضرة الابرار انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تعجب قاب لده كلها . ومما جرت به العادة ان المتكلم اذا ذكر الضرب بالسيف عمل بيده حركة يد المضارب بالسيف واذا ذكر الطعن بالرمح حركتها بحركة يد الطاعن بالرمح واذا ذكر الكتابة بالفلم قبض انامله كما يقبض الكاتب بانامله على الفلم وحرك يده بحركة يد الكاتب واذا ذكر شئ من لبس الثياب عمل

بيديه كأنه يلبس ثوبا وإذا سور كلامه باداة سور كأن يقول متل الناس كلهم اوجمعا اوقاطبة مديده وداربها من جهة اليمين الى جهة الشمال كأنه يصور بذلك الاحاطة والشمول . واما الرأس فقد جرت العادة برفعه قليلا عند النفي كقول لا وبخفضه قليلا عند الجواب كقول نعم . واما انفاض الرأس اى تحريكه فهو اشارة الى التعجب والاستهزاء وقد ذكر الله تعالى ذلك عن كفار العرب حيث قال « فسينفضون اليك رؤسهم » اى فسيحركونها نحوك . تعجبا واستهزاء وقد جرت العادة ايضا بان يعبس المتكلم ويقطب بين عينيه اذا اخذ باللوم والزجر والتفريع وكذلك اذا اخذ بالتهديد والترهيب وان يجعل وجهه طلفا شوسا اذا اخذ بالتأهيل والترحيب كما جرت العادة برفع المنكبين وخفضهما عند عدم الاكتران والمبالاة . هذا وانما اوردنا هذه الجملة من صور الاشارة على طريق المثال والافصور الاسارة كثيرة لا تحصى والامر فيها كما قلنا اننا راجع الى ذوق المتكلم وعادته ومهارته كما لا يخفى

وقد خالف بعضهم فى لزوم الاشارة والحركة عند ابعاده كما روى ذلك ابو شمر عن معمر بن ابي الاسود قال انا لاحظت وكان ابو شمر هذا اذا خطب لم يحرك بدنه ولا منكبيه ولم يقاب عييه ولم يحرك رأسه حتى كن كلامه كأنما يخرج من صدع صخرة وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ ارادته وكان يقول ليس من المنطق ان تستعين عليه بنيره حتى كله ابراهيم بن سيار النظام عند ايوب ابن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسئلة حتى حرك يديه وحل حبوته وجب اليه حتى اخذ بيديه فى ذلك اليوم انتقل ابوب من قول ابى شمر الى قول ابراهيم . قال وكان الذى غرأ اباشمر ومؤمله هذا الرأى ان اصحابه كانوا يستمعون منه ويسامون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورد عليهم ويثبتونه عندهم فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسي حال منازعة الاكفاء ومجادبة الخصوم .

المبحث السادس

ف

المحصرة والعصا

اعلم ان الكلام على المحصورة معدود من تمة الكلام على الاشارة لان المحصورة ليست الا صلة لليد التي بها تكون الاشارة ولذا جئنا بهذا البحث بعد بحث الاشارة .

من عادة خطباء العرب اخذ المحصورة للاشارة وخد وجه الارض بها اثناء الكلام وربما كانت عصا وربما كانت قناة وكذلك من عادتهم ايضا الاتكاء على اطراف القسي والاعتماد عليها اثناء الخطابة .
قال كثير في خد وجه الارض بالمخاصر .

اذا قرعوا المنابر ثم خدلوا باطراف المخاصر كالنضاب
وقال ابو عبيدة سأل معاوية شيخا من بقايا العرب أى العرب رأيت
اضخم شأنا قال حصين بن حذيفة رأيت متوكئا على قوسه يقسم
في الحليفين اسد وغطفان . وقال جرير بن الحطفي في حمل القناة
من للفناء اذا ماعى فأنلها والاعنة ياعمر بن عمار

ومن هذا القليل قول ابى الجيب الربيعي حيث يقول « لا زال تحفظ
اخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك او يمدحك » ومعنى قوله حتى
يأخذ القناة اى حتى يقوم خطيبا فاذا قام ينحطب فقد فام المقام الذى لا بد
من ان يخرج منه مذموم او محمود . وقال ابو اليقظان كانوا يقولون
اخطب بنى تميم البيث اذا اخذ الفناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض
ثم رفعها . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه جاء البقيع ومعه محصرة

فجلس فكت بها الارض ثم رفع رأسه فقال ما من نفس منقوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة او النار . وهو من حديث ابى عبد الرحمن السلمى وقوله منقوسة معناه مولودة يقال نفس فلان اى ولد فهو منقوس ويقال ورث فلان هذا قبل ان ينفس اى قبل ان يولد . وما يدلك على استحسانهم شأن المحاصرة حديث عبد الله بن انيس ذى المحصرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه محصرة فقال تلقانى بها فى الجنة وهو مهاجر عتي انصارى وهو ذوا المحصرة فى الجنة . وفى الحديث ايضا ان رجلا ألح على النبي صلى الله عليه وسلم فى طاب بعض المغنم وكانت بيده محصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله اقضى فلما كشف النبي له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه والدليل على انهم كانوا يتخذون المحاصر فى مجالسهم كما يتخذون القنا والمقسي فى المحافل قول الشاعر فى بعض الخلفاء

فى كفه خيزران رحيها عبق من كف اروع فى عرينه سم
يفضى حياء ويفضى من مهابة فما يكلم الا حين يتسم
وقال الآخر

بجالسهم خفض الحديث وقولهم اذا ما قضاوا فى الامر وحى المحاصر
وقال الآخر

يصيبون فصل القول فى كل خطبة اذا وصلوا ايمانهم بالمحاصر
وما يصح ان يكون دليلا فى هذا الباب ما حدث به بعضهم اذ قال كنا منقطعين الى رجل من كبار اهل العسكر وكان لبنا عنده يطول فقال بعضنا ان رأيت ان نجعل لنا اماراة اذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال اصحاب معاوية لمعاوية مثل الذى قلنا لك فقال اماراة ذلك ان اقول اذا شئتم وقيل ليزيد مثل ذلك فقال اذا قلت على بركة الله وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال اذا القيت الحيزرانة من يدى قالوا فأى شئ تجعل لنا اصلحك الله قال اذا قلت يا غلام الغداء .

قال الجاحظ وبالناس حفظك الله اعظم الحاجة الى ان يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها قال وعند العرب العمة واخذ المخصرة من السيامي وقد لا يلبس الخطيب المصحفة ولا الجبة ولا الفميص ولا الرداء والذي لا بد منه العمة والمخصرة وربما قام فيهم وعليه ازاره قد خالف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامة وفي بده مخصرة وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة قال وربما كان العود نبتا وربما كان شوحتا وربما كان من أبنوس ومن غرائب الحشب ومن كراشم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كبريم فان للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت في حزائن الخلفاء والملوك . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالقضيب وكفى بذلك دليلا على عظم غناها وشرف حالها يعنى العصا او المخصرة قال وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء وقد كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية حين احيط به بدفع البرد والقضيب الى خادم وامره ان يدفنها في بعض تلك الرمال ودفع اليه بنتاله وامره ان يضرب عنقها فلما اخذ ادم في الاسرى قال ان قتلتموه ضاع ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فامنوه على ان يسلم لهم ذلك . وفي الخبر ان ابا بكر رضى الله عنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحجنه يحرش بعيره اى يحك ظهره بالمحجن ليسرع والمحجن العصا المنعطفة الرأس . وفي الحديث المرفوع انه طاف بالبيت يستلم الاركان بمحجنه ثم يجذبه اليه يربد بذلك تحريكه . وكانت العزة التى تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما جعلوها قبة اشهر واذا ذكر من ان يحتاج في تثبيتها الى ذكر الاسناد والعزة هى العصا الطويلة التى فى اسفلها زج .

قال الجاحظ ومن شأن المتكلمين ان يشيروا بايديهم واعناقهم وحواجبهم فاذا اشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بايديهم ابدى آخر ويدل على ذلك قول الانصارى الذى يقول

وسارت لنا سيارة ذات سؤدد بكموم المطايا والخيول الجماهر
يؤمنون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بارض الشام فوق المنابر
يصيرون فصل النول في كل خطبة انما وصلوا انماهم بالمخاصر

وايضا ان حمل المعصاة والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والنهي
اللائطاب والاطالة وذلك سبب خاص بنسب العرب ومنصور عامهم ومنسوب
اليهم حتى انهم ليذهبون في حوانجهم والمخاصر في ايديهم النما لها وتوفعا
لبعض ما يوجب حملها والاشارة بها قال ولا يكون ذلك من عجزهم عن
الكلام واستعانهم بالمخاصر عليه كما رعت المشعوية وانما يكون العجز
والذلة في دخول الحلال والنقص على الجوارح فاما الزيادة فيها فالصواب
فيه وهل ذلك الا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة الفلاس العظام
في حمارة القيط واتخاذ الخلفاء العمام على الفلاس فان كانت الفلاس
مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع
الامة وكل ما زادوه في الابدان ووصلوه في الجوارح فهو زيادة في تعظيم تلك
الابدان . والعصى والمخاصر مع الذي عددناه باب واحد في المعنى . قال و
المعنى قد يقع بالقضيب على اوزان الاغاني والمتكلم قد يشير برأسه ويده
على اقسام كلامه وتقطيعه ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الالفاظ
وضروب المعاني ولوقبضت يد المتكلم ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا
كلامه وقال عبد الملك بن مروان لو القيت الحيزرانة من يدي لذهب
شطر كلامي . واراد معاوية سحبان وائل على الكلام وقد كان اقتضبه
اقتضابا فلم ينطق حتى اتوه بمخصرة فرطلها بيده فلم تعجبه حتى اتوه
بمخصرته من يته

وقد نعمت الشعوبية على العرب هذه العادة اعني اخذها المخاصر
في الخطب وعابت هذا الدين وقدت هذا الرأي اشد التفيد جريا في ذلك
على ما جابت عليه تجاه العرب من الحسد والبغضاء . والشعوبية اناس من

العجم يتعصبون للعجمية ضد العربية ويتمنون على العرب مفاخرهم و ينكرون مآثرهم ومآلهم من الميزة في براعة المنطق وحسن البيان وقد ذكر العلماء شبههم وردوا عليهم بالاحاجة بنا الى ذكره هنا .

المبحث السابع

ف

انواع الخطب عند العرب

لما نظرت في كتاب الجاحظ « البيان والتبيين » وطالعه وتدبرته من اوله الى آخره تين لي ان انواع الخطب عند العرب عشرة وهى هذه (١) خطبة الجمعة (٢) خطبة العيد (٣) خطبة الصلح (٤) خطبة الجمالة (٥) خطبة يوم الحفل (٦) خطبة المواهب (٧) خطبة بين السماطين (٨) خطبة التأين (٩) خطبة الموسم (١٠) خطبة النكاح . فاما خطبة الجمعة والعيد فهى للخلفاء والامراء ومن ينوب عنهم والغالب عليها ان تكون سياسية دينية اجتماعية وبالجملة فان خطب الجمع والاعياد عامة تتناول كل امر من امور الدين والدنيا . ولا يفهم من هذا ان خطب الخلفاء والامراء مفصورة على الجمع والاعياد بل هم يخطبون عند مسيس الحاجة الى الخطبة فى أى يوم شاؤا وأى وقت ارادوا وقد قال عبد الملك بن مروان لما قيل له عجل عليك الشيب يا امير المؤمنين « وكيف لا يغجل على وانا اعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة او مرتين » يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الامور . واليك خطبة للإمام على رضى الله عنه . ان سفيان بن عوف الازدى ثم الغامدى اغار على الأنبار فى زمن على بن ابى طالب رضى الله عنه وكان ابن حسان عاملا عاها اذ ذاك فقتله سفيان وازال تلك الجليل عن مسالحها فخرج على رضى الله عنه حتى قام على السدة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء والزمه الصغار وسيم الحسف ومنع النصف الأولانى قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا فتوا كلتم وتحاذلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهوريا حتى سأت عليكم العارات . هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل ابن حسان البكرى وازال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجلا صالحين وقد بلغنى ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فيتزعج احبالها وقلبها ورعشها ثم انصرفوا فارين ما كلهم رجل منهم كلاً فلو ان امراً مسلماً مات من بعدها اسفا ما كان عندى ملوما بل كان عندى بها جديرا فيا عجبا من جد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلهم عن حقكم فقبحا لكم وترحاحين صرتم غرضا يرمى وفيثا يهيب يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم فى الحر قلم حرارة المقيظ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير فى البرد قلم امهلنا حتى ينسلخ عنا القفر كل هذا فرارا من الحر والقفر فاذا كنتم من الحر والقفر تفرون فاتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال ويا احلام الاطفال وعقول ربات الحجال وددت ان الله اخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضى الى رحمته من بينكم والله لو ددت انى لم اركم ولم اعرفكم معرفتكم والله حرت ندما وورثتم صدرى غيظا وجرعتمونى الموت انفاسا وافسدتم على رأى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابى طالب شجاع ولكن لاعلم له بالحرب لله ابوهم هل منهم احد اشد لها مراسا واطول لها تجربة منى لقد مارسها وما بلغت العشرين فيها وقد نيفت على الستين ولكنه لا رأى لمن لا يطاع . فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم

اخذ بيد اخ له فقال يا امير المؤمنين انا واخى كما قال الله تعالى ربى انى لا املك الا نفسى واخى فرنا بامرك فوالله لنضربن دونك وان حال دونك حجر الغضا وسوك القتاد . فاشى عليهما خير اوفال لهما اين تقعان مما اريدتم نزل .

وخطبة اخرى له بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى قام فيهم خطيبا فقال :

ايها الناس اجتمعوا ابدانهم الختامة اهوؤهم كلامكم بوهى الصم الصلاب وفعلكم يطلع فبكم عدوكم شولون فى المجالس كيت وكبت فاذا جاء القتال قائم حيدى حيايد . ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قاب من فاساكم اعليل باضاليل وسألتموني التأخير دفاع دى الدين المطول هبها لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد . أى دار بعدداركم تمنعون ام مع أى امام بعدى نقالون المغرور والله من عُرزتموه ومن فازبكم فاز باسمهم الاخيبت اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع فى نصرتكم فرق الله بينى وبينكم واعفنى بكم من هو خيرلى منكم لوددت ان دلى بكل عمرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم .

وانما اوردنا هاتين الخطبتين لتكونا دليلا على ان خطب الخلفاء والامراء غير مقصورة على الجمع والاعياد بل هم يخطبون عند مسيس الحاجة فى كل وقت .

(خطبة الصلح)

واما خطب الصلح ففى الحلب التى يخطبونها اذا تهادنوا بعد حرب فيسلون فيها السخائم ويمحون اثر الضغائن ويدعون الى التواصل وهذه خاصة بالحروب التى كانت تقع بين قبائل العرب اذ الصلح بينهم وبين

غيرهم من الأمم لا يقع على هذا الشكل ومثل خطاب الصلح خطب الحمالة
ايضا فان الحمالة كسجاية هي الدية يحميها قوم عن قوم فاذا ارادوا حمل
دية قتيل قاموا وخطبوا بمثل خطب الصلح . وزب فائل يقول يفهم
من هذا ان موضوع خطبة الحمالة كوضوع خطبة الصلح واذا انفقتا
في الموضوع فلما ذا جعلتهما نوعين ولم تعدها نوعا واحدا قال لئن اتفقتا
في الموضوع فقد اختلفتا في السبب فان خطب الصلح مسببة عن الحرب فتكون
بعد الحرب بخلاف خطب الحمالة فاشها لم يسبق محروب وانما تكون لابقاء السلم
واستمراره فانهم انما يقصدون لحمل دية المقتبل منع وقوع الحرب فالسبب
الداعي الى هذه غير السبب الداعي الى تلك على ان موضوعيهما مختلفان
ايضا من بعض الوجوه وان كانت بينهما مشابة كما لا يخفى . ومن علامتهم
الاطالة في مثل هذه الخطب لان المقام داع الى الاطالة لا ترى الى قيس
ابن خارحة بن سنان لما ضرب بصفحة منه مؤخره راحتي الحاملين
في شأن حمالة داحس والغبراء وقال مالي فيها ابها العشمتان فالا بل ما
عندك قال عندي قرى كل نازل ورضا كل سخط وخطبه من لدن نطاع
الشمس الى ان تغرب امر فيها بالنواصل اسمى عن التقاطع قالوا فخطب
يوما الى اليل ثما اعاد فيها كلمة ولا معنى . فقبل لابي يعقوب راوى هذا
الخبر هلا اكتفى بالامر بالنواصل عن اسمى عن التقاطع او ليس الامر
بالصلة هو اسمى عن النطلة قال او ما علمت ان الكتابة والعريض لا
يعملان في العنول عمل الافصاح والكشف .

(خطبة المواهب)

واما خطب المواهب فلم أر في كلام الجاحظ ما يكشف الضماع عن
وجه المراد بها . على ان الجاحظ لم يتكلم في كتابه عن هذه الانواع
التي ذكرتها للخطب وانما جاءت هذه الاسماء عرضا في تضاعيف كلامه
فالتقطتها من اماكن متفرقة من كتابه ولعل المراد بخطب المواهب

الخطب التي يستوهبون فيها الهبات ويطلبون الاعطيات عند وفودهم على الخلفاء والامراء كما وقع لهلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف ابن قيس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد ذكر بشار بن عبد الحميد عن ابي ربحانة قال وفد هلال بن وكيع والاحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر فقال هلال بن وكيع يا امير المؤمنين انا لباب من خلفنا وغرة من وراءنا من اهل مصرنا فانك ان تصرقنا بالزيادة في اعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريف تأملاً وتكن لذوى الاحساب ابا وصولاً فانا ان نكن مع ما نمت به من فضائلك وندلى من اسبابك كالجد الذي لا يحل ولا يرحد ترجع بانف مصلومة وجدود عائرة فحنا واهلنا بسجل من سجلك المترعة . وقام زيد بن جبلة فقال : يا امير المؤمنين سود الشريف واكرم الحبيب وازرع عندنا من ايديك مانسد به الحصاصة ونطرد به الفاقة فانا بقف من الارض يابس الاكناف مقشعر الذروة لاشجر فيه ولا زرع وانا من العرب اليوم اذ آتيناك بمراى ومنمع . فقام الاحنف فقال : يا امير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يعنى غنك يوم القيامة قلاً ولا قالوا جعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واستماعة المحتاج فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الاقل ممن عسى ان تقتحمه الاعين وتخونهم اللسان فلا يوفد اليك يا امير المؤمنين .

وعما يصح ان يكون من خطب المواهب خطبة الهذيل بن زفر عند يزيد بن المهلب قال ابو الحسن دخل الهذيل بن زفر السكلابي على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ونوائب نابتة فقال اصلحك الله انه قد عظم شأنك عن ان يستعان عليك ولست تصنع شيئاً من المعروف الا وانت اكبر منه وليس العجب بان تفعل ولكن العجب بان لا تفعل .

فقال يزيد حاجتك فذكرها فامر بها وامر له بمائة الف درهم فقال اما الحمالات فقد قبلتها واما المال فليس هذا موضعه .

(خطبة يوم الحفل)

واما خطب يوم الحفل فهي الخطب التي يخطبونها اذا احتشدوا لامر قد اهمهم ونازلة المت بهم ونائبة نابتهم وغير ذلك من الامور فيوم الحفل هو يوم الاجتماع وهذا اشبه شئ بما يسمى اليوم « متينك » في اللغات الاجنبية ولا شك ان يوم الحفل غير الموسم لان اجتماعهم في الموسم لا يكون الا في وقت معين خاص بخلاف اجتماعهم في يوم الحفل فلا يقال ان خطب الموسم داخلة في خطب يوم الحفل . وايضا ان خطب الموسم عامة لا تختص بامر من الامور بخلاف خطب يوم الحفل فانها لا تكون الا في امر خاص من الامور . وقد ذكرنا لك عند الكلام على الاشارة ان معاوية اراد ان يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد فاجتمع الناس وقامت الخطباء فكان ذلك يوم حفل وكانت الخطب فيه خطب يوم الحفل وقد ذكرنا لك هناك ايضا خطبة يزيد بن المقنع وهي خطبة اشارية ومما يصح ان يكون من خطب يوم الحفل الخطبة التي خطبها ابوبكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة وذلك ان الانصار والمهاجرين اجتمعوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بنى ساعدة يتنازعون امرا الخلافة فقام حباب بن المنذر من الانصار فقال انا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب ان شتم كرناها جذعة . منا امير ومنكم امير فان عمل المهاجري شئاً في الانصار رد ذلك عليه الانصارى وان عمل الانصارى شئاً في المهاجري رد ذلك عليه المهاجري . فاراد عمر الكلام فقال ابوبكر على رسلك نحن المهاجرون اول الناس اسلاما واوسطهم دارا واكرم الناس احسايا واحسنهم وجوها واكثر الناس ولادة في العرب وامسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فاتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الفئ وانصارنا على العدو آويتهم

ونصرته وآسينم جزا كم الله خيرا نحن الامراء وانتم الوزراء ولا تدب العرب
الا لهذا الحى من قريش وانتم محفوقون ان تنفسوا على اخوانكم
من المهاجرين ماساق الله اليهم . وقال ان هذا الامر ان تظاولت اليه
الحزرج لم تقصر عنه الاوس وان تظاولت اليه الاوس لم تقصر عنه
الحزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فان نعت
منكم ناعق فقد جالس بين لحبي اسد يضغمه المهاجرى ويخرجه الانصارى .
قال ابن داب فرماهم والله بالملكة حتى فلوا انا قد رضينا . فيوم
المنقبة يوم حفل وحطبة كل من حباب بن المنذر وابى بكر الصديق
من خطب يوم الحفل .

(خدلية بين السماطين)

واما الخطب بين السماطين فليس فى كتاب الجاحظ ما بينها والظاهر
٢١- الخطب التى يخطبونها بين القوم وقد اصطفوا صفين متقابلين
فان سباط القوم هو صميمهم يقال قام القوم حوله سماطين اى صفين
وفال مسى بين السماطين اى بين الصيين من النوم . وقيل السباط هو
صف الخود الذين يتقدمون بين بدى الملك وعليه فالخطب بين السماطين
هى الخطب التى يخطبونها عند الملوك والامراء . قياما بين صفين من الجنود
قد اصطفوا بين بدى الملك او الامير . واليك ما قاله سعيد بن مسلم والى
ارمنية قال كنت واليا بارمينية فعبر ابوزهمان العلانى على بابى اياما فلما
وصل الى مثل بين بدى قائما بين السماطين فقال والله ان لا عرف اقواما
لوعاموا ان سب التراب يقيم من اود اصلاهم لجلوه مسكة لازما فيهم
اينارا للترد عى عيش رقيق الخواسى اما والله انى لبعيد الوثبة بطيئ
العطفة انه والله ما يتبني عليك الا مثل ما يصرفنى عنك ولان اكون مقلدا
مقربا احب الى من ان اكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لانضبطه

ولا مالا الا نحن اكثر منه وهذا الامر الذى صار اليك في يدك كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتجيب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لانهم شهداء الله على خلقه ورقبائه على من اعوج عن سبيله .

ومما يدل على ان الملوك والامراء كانوا اذ ذاك اذا قعدوا في مجالسهم افاموا حولهم سباطين اى صنيين من الجنود ما ذكره الخافظ في كتاب البيان قال حدثني ابراهيم السندى فقال لما اى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو في البلاد اقام على رأسه رجلا في السباطين اهتم قدير وهام ومناكب واجسام وسوراب وسعور فيناهم فباه بكلمونه ومنهم رجل وجهه في قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة فاحفظه عد الملك فلم بدر اى شئ انكر منه فلما مضى الوفد قال له وبلك هلا اذا كنت ضبق المنخر كرك الحيشوم ابلغها بصيحة تخلع بها قلب العليج . فهذا وما تقدم من حديث والى ازمينية يتبين لنا ماهو المراد بالسباطين وماهى خطبة بين السباطين

(خطبة التأين)

واما حطب التأين فاعلم ان التأين هو الناء على انيت كما ان التقريظ هو الناء على الحى فخطب التأين هى الخطب التى يقومون فيها على قبر من مات فيندبون وبثون عليه بما هو اهله ويعددون محاسنه فيكونه ويستبكون عليه وكان ذلك من عادتهم قديما . فمن ذلك تأين عائشة لايها رضى الله عنهما وذلك انه لما توفى ابوبكر رضى الله عنه فامت عائشة على قبره ففالت نضر وجهك وسكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها وان كان لاجل الارزاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر المصائب فقدك وان

كتاب الله ليعد بحميد العزاء حسن العوض منك فاتحز من الله موعدة
فيك بالصبر عنك واستخاضه بالاستغفار لك .

وقامت فرغانة بنت اوس بن حجر على قبر الاخنف بن قيس وهي
على راحلة فقالت انا لله وانا اليه راجعون رحمك الله ابا بحر من بحن
في جنن ومدرج في كفن فوالذي ابتلاني بفقدك وبلغنا يوم موتك لقد
عشت حميدا ومت فقيدا ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد
وارى الزناد منيع الحريم سليم الاديم وان كنت في المحافل لشريفا وعلى
الارامل لعطوفا ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا وان كنت لمسودا والى
الحلفاء لموفدا وان كانوا لقولك منسمعين وارأيك التبعين . ثم انصرفت .

وحدث اسماعيل بن علية قال حدثنا زياد بن ابي حسان انه شهد
عمر بن عبدالعزيز حين دفن ابنه عبد الملك فلما سوى عليه قبره بالارض
وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون احداها عند رأسه والاخرى
عند رجله ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما واحاط به الناس
قال رحمك الله يا بني فقد كنت برا بابيك ومازلت مذو هبك اللهلى بك
مسرورا ولا والله ما كنت قط مسرورا بك ولا ارجى لحظى من الله
فيك منذ وضعتك في الموضع الذى صيرك الله اليه ففضر الله لك ذنبك
وجازاك باحسن عملك وتجاوز عن سيأتك ورحم الله كل شافع يشفع لك
بخير من شاهد وغائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لامره فالحمد لله رب العالمين .
ثم انصرف .

ومات ذر بن ابي ذر الهمداني من بنى مرهبة وهو ذر بن عمر بن ذر
فوقف ابوه على قبره فقال يا ذر والله ما بنا اليك من فاقة وما بنا الى
احد سوى الله من حاجة يا ذر شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ثم قال
اللهم انك وعدتني بالصبر على ذر صلواتك ورحمتك اللهم وقد وهبت
ما جعلت لى من اجر على ذر لذر فلا تعرفه قبيحا من عمله اللهم وقد

وهبت له اساءته الى فهمب لى اساءته الى نفسه فانك اجود واكرم .
فلما انصرف عنه التفت الى قبره فقال ياذر قد انـمرنا وتركناك ولو
اقنا مانفعناك .

واصيبت اعرابية بابنها وهى حاجة فلما دفنته قامت على قبره وقالت
والله يا بنى لقد غذوتك رضيعا وفقدتك سريعا وكأنا لم يكن بين الحالين
مدة التذ بعيشك فيها فاصبحت بعدالنضارة والفضارة وروى الحياة
والتنسم فى طيب روائحها نحت اطباق الثرى جسدا هامدا ورفاتا سحيقا
وصيدا جرزا . اى بنى لقد سحبت الدنيا عليك اذيال الفنا واسكنتك
دارالبلى ورمتنى بعدك نكبة الردى . اى بنى لقد اسفرلى عن وجه
الدنيا صباح داج ظلامه ثم قالت اى رب ومنك العدل ومن خلقك
الجور وهبتلى قرة عين فلم تمتعنى به كثيرا بل سلبتني وسيكأثم امرتنى
بالصبر ووعدتنى عليه الاجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فرحم الله
من تراحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى اللهم ارحم غربته
وانس وحشته واسترعورته يوم تكشف الهنات والسوآت . فلما ارادت
الرجوع الى اهلها قالت اى بنى انى قد تزودت لسفرى . فليت شعرى
مازادك ابعـد طريقك ويوم معادك اللهم انى اسألك له الرضا برضائى عنه
ثم قالت استودعتك من استودعتك فى احشائى جينا .

وانكل الوالدات مامض حرارة قلوبهن واقاق مضاجعهن واطول
ليلهن واقصر نهارهن واقل النسهن واشد وحشتهن وابعدهن من
السرور واقربهن من الاحزان .

(خطبة الموسم)

الموسم هوالمجتمع سى به لانه معلم يجتمع اليه وقد كثر استعماله
لوقت اجتماع الحاج وسوقهم فى مكة . ولقد كان للعرب اسواق يقيمونها

في اوفت معينة وينتقلون من بعضها الى بعض لايع والزمراء وكان
يخسرها العرب بماغدهم من المآر والمفاخر وتاسدون الاسعار ويلقون
الخطب وتحاكون فيها الى قضاء نصبوا انفسهم لقد الشعر وبيان غنه
من حينه وفضل ساعر على آخر فكانوا يفضلون من سهلت عبارته
وكان لها التصيب الاوفر من النصاحة وحسن البيان مع التجرز من
العيب والابتعاد من المنص ونخبرون في خطبهم واسعارهم من لغات
العرب ماحلا في الذوق وخف على السمع فكانت هذه الاسواق ابدية
علمية ومجتمعات ادوية ادبية توصل بها العرب الى تهذيب لغتهم لفظا
واسلوبا وجعل لها الشعر والخطابة لغة واحدة بين جميع القبائل . فمن
هذه الاسواق اشتهر وذواخار وعكاظ واشهرها سوق عكاظ وهي موسم
للعرب من اعظم مواسمهم وعكاظ نزل في وادي بين ثعلبة والطائف
من بلاد الحجاز وبنيه وبين الطائف عسرة اميال فكانوا يتبايعون في
هذه السوق وبنما ياكلون وينفحرون ويحاحون وينشد الشعراء مايجدد
ائم وقد كبر ذلك في اسعارهم كقول حسان

سأسر ان حات ايم كلاما بسر في الخبنة مع عكاظ

وفي عكاظ كن خطب كل خطب مصقع وكان كل شريف انما يخير
سوق بلده الاسوق عكاظ فانهم كانوا ينوون بها من كل جهة فمن كان
له اسير سعى في فدانها ومن كانت له حكومة ارفع الى الذي يقوم بامر
الحكومة . وكانت هذه السوق تقوم من اول دى الائمة الى العشرين منه
على المشهور واتخذت عكاظ سوقا بعد عام النبيل بحمس عسره سنة وتركت
بعد ان نهى الخوارج سنة تسع وعسرس ومائة .

فخطب الموسم هي الخطب التي كانوا يخطبون فيها في هذه الاسواق وغيرها
من المواسم . وكانوا يخطبون في الموسم وهم على رواحلهم قال ابو
عبيدة وكانت العرب تخطب على رواحلها وكذلك روى النبي صلى الله

عليه وسلم عن قس بن ساعدة على ما ذكره ابن العربي في المسامرات حيث قال ان الجارود بن عبدالله لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبدالقيس فاسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا حارود هل في جماعة وفد عبدالقيس من يعرف لنا قداما قال كلنا نعرفه يا رسول الله وانا من بين قومي كنت افنو اثره واطاب خبره واخذ يصف للنبي صلى الله عليه وسلم قداما وانشد في آخر كلامه ايبانا فما ائمتها حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا حارود فلست اساد بسوق عكاظ على جمل له اوراق وهو يتكلم بكلام موقوف ما اضنى انى احفظه فهل فيكم من يحفظ لنا منه -- ب. معانير المهاجرين والانصار فوجب ابو بكر رضى الله عنه فائنا وقال يا رسول الله انى احفظه ثم ذكر كلامه وسنذكر هذه الخطبة في محلها .

وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة حجة الوداع في عرفة وهو على راحلته كما ذكر ذلك ابن العربي ايضا حيث قال عند ذكر حجة الوداع حتى اذا زالت الشمس امر صلى الله عليه وسلم ساقته القصوى فرحلت له ثم اتى بطن الوادى فخطب الناس على راحلته . وقد ذكر الجاحظ هذه الخطبة وهى هذه .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اوصركم عباد الله بنفوى الله واحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير . اما بعد ايها الناس اسمعوا منى اين انكم فاني لا ادري اعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . ايها الناس ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا هل بلغت اللهم اشهد فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمه عليها . وان ربا

الجاهلية موضوع وان اول ربا ابدأ به رباعى العباس بن عبدالمطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وان اول دم نبداً به دم عامر بن ربيعة [*] ابن الحارث بن عبدالمطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من اهل الجاهلية . ايها الناس ان الشيطان قديس ان يعبد فى ارضكم هذه ولكنه قد رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم . ايها الناس ان النسي زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ألاهل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن احداً تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين فاحشة فان فعان فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئاً اخذتموهن بامانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله فانقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً ألاهل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال اخيه الا عن طيب نفس منه ألاهل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألاهل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس ان ربكم

[*] قوله دم عامر بن ربيعة كان عامر مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر بن هوازن فقتله هذيل وذكر النسابة انه كان صغيراً يحبو امام البيوت وكان اسمه آدم فاصابه حجر عابر اوسهم من غرب من يد رجل من بنى هذيل فمات .

واحد وان اباكم واحد كلکم لآدم و آدم من تراب اکرمکم عندالله
اتقاکم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم
اشهد . قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب . ايها الناس ان الله قد قسم
لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصيته ولا يجوز وصيته
في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه
او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه
صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن خطب الموسم خطبة قس بن ساعدة التي خطبها في عكاظ وهو
على راحلته كما مر آنفا فقال ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش
مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت . وقال في هذه آيات محكمات
مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب آت ونجوم تمور وبحور لا تغور
وسقف مرفوع ومهاد موضوع وليل داج وسماء ذات ابراج مالى ارى
الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا فاقاموا ام حبسوا فناموا . وقال يا
معشر اباد أين ثمود وعاد وأين الآباء والاجداد وأين المعروف الذي لم
يشكر والظلم الذي لم ينكر اقسم قس قسما بالله ان الله دينا هو ارضى له
من دينكم هذا وانشأ يقول

في الداهيين الاولين	من القرون لنا ابصار
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضى الا كابروا الاصغر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقيين غابر
ايقت أنى لا محالة	حيث صار القوم صائر

هكذا ذكر الجاحظ هذه الخطبة وقد ذكرها ابن العربي في المسامرات
اطول وفيها زيادة على ما ذكره الجاحظ .

ومن خطب الموسم خطبة لابن عباس اجاب بها عمرو بن العاص

وذلك ان عمرو بن العاص قام بالموسم فاطرى معاوية وبني امية وسأول
 بنى هاشم ثم ذكر مشاهدته بصنمين فقام ابن عباس فقال يا عمرو انك
 لعت دينك من معاوية فاعطيته ما فى يدك ومناك ما فى يد غيره فكان
 الذى اخذ منك فوق الذى اعطاك وكان الذى اخذت منه دون ما اعطيته
 وكل راض بما اخذ واعطى فلما صارت مصر فى يدك نابعت فيها بالعزيز
 والشفص حتى لو ان نفسك فيها الغنيها اليه . وذكر مشاهدك بصنمين
 فما ثقت علينا يومئذ وطأناك ولا نكسنا فيها حرك وان كنت فم الطويل
 اللسان قصير السنان آخر الحرب اذا اقبات واوالها اذا ادبرت . لك بدن
 بد لا تبسطها الى خير وبد لا تقضها عن سر ووجهان وجه مؤنس ووجه
 موحش ولعمري ان من باع دينه بديا غيره لحرى ان يطول حزنه على
 ما باع واسترى . لك بيان وفك خطا ولك رأى وفك نكد ولك
 قدر وفك حسد فاصغر عيب يك اعظم عيب فى غيرك . فقال عمرو
 اما والله ما فى قریش احد اقل وطاة على منك ولا لاحد من قریش
 قدر عندى مثل قدرك .

(خطبة النكاح)

ومن الخطب خطبة النكاح فقد كانوا اذا خطبوا امرأة واجتمعوا
 عند وليها لاجل الاملاك يخطب احدهم فيتكلم بما يرغب ولى المرأة فى
 الحاطب من مدحه والثناء عليه فيجيبه الولي بالقبول وبذلك يتم الاملاك
 والسنة عندهم فى خطبة النكاح ان يطيل الحاطب ويقصر الحبيب . ومن
 عادتهم فى خطبهم كلها انهم يخطبون وهم قيام الا فى خطبة النكاح فان
 الحاطب يخطب وهو فاعد وقدروى ابو مخنف عن الحارث الاعور قال
 والله لقد رأيت عليا وانه ليخطب فاعدا كقائم ومحاربا كسالم . يريد
 بقوله فاعدا خطبة النكاح وقال الهيثم بن عدى لم تكن الخطباء تخطب

قمودا الا في خطبة النكاح . وكانت خطبة النكاح اشق عليهم من غيرها
من الخطب ومقام الخطيب فيها اخرج فلا يقدم عليها الا من كان في بيانه
ابرع وعلى القول في المقام الضنك اجراً ولذلك قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ما يتصعدني كلام كما تصعدني خطبة النكاح . ومما يذكر
في هذا الباب ما نشد ابن الاعرابي لابي مسمار العكلى من قوله

لله در عامر اذا نطق في حفل املاك وفي تلك الحلق
ليس كقوم يعرفون بالشدق من خطب الناس ومما في الورق
يلفقون القول تلفيق الحاق من كل نضاح الذفاري بالعرق
اذا رمته الخطباء بالحدق

والذفاري جمع الذفري والذفريان للبعير وهما اللحمتان في قفاه وقد
عنى الشاعر بالذفاري هنا بدن الخطيب لان عرق الخطيب في اثناء الخطبة معيب
عندهم كما قد ذكرناه في معاييب الخطيب وانما خص الشاعر خطب
الاملاك بالذكر لانهم يذكرون انه يعرض للخطيب فيها من الحصر
اكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما يتصعدني كلام كما تصعدني خطبة النكاح .

وقد سئل ابن المقفع عن قول عمر هذا فقال ما عرفه الا ان يكون
اراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب في اجواف الحداق
ولانه اذا كان جالسا معهم كانوا كأنهم نظراء واكفاء واذا علا المنبر
صاروا سوقة ورعية قال الجاحظ وقد ذهب ذاهبون الى ان تأويل قول
عمر يرجع الى ان الخطيب لا يجد بدا من تزكية الخاطب فلعله كره ان
يمدحه بما ليس فيه فيكون قد فال زورا وغر القوم من صاحبه قال
ولعمري ان هذا التأويل ليجوز اذا كان الخطيب موقفا على الخطابة
فاما عمر بن الخطاب رضي الله عنه واشباهه من الأئمة الراشدين رضوان الله
عليهم اجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح . قلت اما

كون الأئمة الراشدون لم يتكلموا ذلك إلا فيمن يستحق المدح فغير مسلم لان الخلفاء الراشدين لم ترفعهم الخلافة عن مخالطة العامة فلو دعاهم في العامة رجل من عرض الناس الى الخطبة لما ترفعوا عن اجابته كما هو معلوم من سيرتهم الراشدة

وها نحن نأنيك بنف من خطب النكاح مما عثرنا عليه في تضاعيف كلام الجاحظ في كتاب البيان لتعلم بذلك ولو مجحلا كيف كانوا يخطبون في النكاح . فمن ذلك ما روى عن الحسن البصري انه كان يقول في خطبة النكاح بحمد الله والثناء عليه اما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام المنقطعة والانساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج واضح من امره وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة .

ولما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوج خديجة رضى الله عنها وذهب صلى الله عليه وسلم هو وعمه ابو طالب وزمرة من رجال قريش وبني هاشم يخطبونها من عمرو بن خويلد عمها خطب ابو طالب خطبة النكاح فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من فدية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وغنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكم على الناس ثم ان ابن ابي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا . فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة . وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم . ومحمد من قد عرقتم قرابته وقد خطب اليكم راغبا في كرميتكم خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة اوقية ونش . والنش نصف الاوقية وكذا نصف كل شئ يقال نش الدرهم ونش الرغيف اى نصفه وكانت الاوقية عند العرب اربعين درهما .

ولما سكّت ابو طالب اجابه ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على من عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبتنا فى الاتصال بجليلكم فاشهدوا على معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبدالله على ما ذكر من المهر . ثم سكّت فقال له ابوطالب انى احببت ان يشركك عمهما . يعنى عمرو بن خويلد فقال عمرو اشهدوا على يا معسر قريش انى قد انكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد ثم قال هو النحل لا يقرع انفة . وهو مثل تصره العرب للسريفة الذى اذا خطب كريمة قوم لا يردونه .

وخطب محمد بن الوليد بن عتبة الى عمر بن عبدالعزيز اخته فقال عمر الحمد لله رب العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء : اما بعد فقد احسن بك ظنا من اودعت حرمة واحتارك ولم نختر عليك وقد زوجناك على ما فى كتاب الله من امالك بمعروف او تسريح باحسان . وكان لخالد بن صفوان مولى فقال له يوما زوجنى امك فلانة قال قد زوجتكها قال أفادخل الحى حتى بحضوروا الخطبة فقال ادخلهم فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال : اما بعد فان الله اعز واجل من ان يذكر فى نكاح هذين الكلين وقد زوجنا هذه القاعة من هذا ابن القاعة . وقال ابو الحسن خطب مصعب بن حيان اخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت ام الجارية محل الله موتك ألهذا دعوناك . وكانت قريش فى الجاهلية تخطب خطبة النكاح هكذا باسمك اللهم ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما اعطيت .

والغالب ان يكون الخطيب فى خطبة النكاح غير الخاطب لان الخاطب

إذا كان هو الخطيب لنفسه اضطر الى تزكية نفسه ومدحها وذلك مما لا يستحسن وربما كان الحاطب هو الخطيب كما وقع ذلك للفضل الرقاشي فانه خطب الى قوم من بني تميم فخطب هو خطبة النكاح فلما فرغ قام اعرابي منهم فاجابه قائلا توسلت بجرمة وواليت بحق واستندت الى خير ودعوت الى سنة فغرضك مقبول وماسألت مبذول وحاجتك مقضية ان شاء الله تعالى . قال الفضل لو كان الاعرابي حمدا لله في اول كلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحني يومئذ . اى ان هذا الاعرابي الذي اجاب الفضل قد ترك الحمد في اول كلامه فجاءت خطبته ببراء وترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت خطبته تسوها ولولا ذلك لكان في خطبته هذه اخطب من الفضل لان ترك الحمد والصلاة في اول الخطبة معيب عندهم كما سند كره في المبحث الآتي

المبحث الثامن

فيما يلحق الخطب من البتر والشوه عندهم

كان خطباء العرب اذا خطبوا يستفتحون الكلام بحمد الله تعالى وتمجيده ويتبعون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما انهم كانوا يستحسنون ان يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع أى من القرآن فان ذلك عندهم مما يورث الكلام البهاء والوقار والركة وحسن الموقع . قال الهيثم قال عمران بن حطان اول خطبة خطبتها عند زياد فاعجب بها زياد وتهداها عمى وابى وقد ظننت انى لم اقصر فى تلك الخطبة عن غاية ولم ادع لطاعن من علة ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم هذا الفتى اخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن .

اما الخطبة التى لم يستفتح صاحبها كلامه فيها بالحمد فقد كانوا يصفونها بالبتر فيقولون خطبة براء ومنه « خطب زياد خطبته البراء » وسند كره

هذه الخطبة كما انهم كانوا يصفون بالشوه الخطبة التي لم يزينها صاحبها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوتجها بأى من القرآن فيقولون خطبة شوهاء . قال الجاحظ في كتاب البيان وما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدأ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الشوهاء قال وخطب اعرابي فلما اعجبه بعض الامر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد قال : اما بعد بغير ملال لذكر الله ولا ايثار غيره عليه فاناقول كذا ونسأل كذا . فرارا من ان تكون خطبته بتراء . وكذلك فعل تيب بن شبة في احدى خطبه حيث قال : الحمد لله وصلى الله على رسوله اما بعد فانانسأل كذا ونبذل كذا . فاختصر الحمد والصلاة في اول كلامه فرارا من ان تكون خطبته بتراء وشوهاء . وخطب زياد بالبصرة خطبة لم يبتدأ فيها بحمد الله فاشتهرت بالبتراء وهى من غرر الخطب المشهورة . قال ابوالحسن المدائنى راويا عن مسلمة بن محارب وعن ابى بكر الهذلى قالوا قدم زياد البصرة واليا للمعاوية بن ابى سفيان وقد ضم اليه خراسان وسجستان والفسق بالبصرة يومئذ كثير فاش قالوا فخطب خطبة بتراء لم بحمد الله فيها وقال غيرها بل قال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما زدتنا نعماً فالهمنا شكراً : اما بعد فان الجهالة الجهلالة والضلالة العمياء والنّى الموفى باهله على النار مافيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأ كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول أتكفون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه من

ترككم الضعيف يهقر ويؤخذ ماله . هذه المواخير المنصوبة والضعيفة
المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاية تمنع
الغواة عن دجل الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتدرون
بغير العذر وتنفضون على المحتلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيه صنع
من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما اتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء
فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم
اطرقوا وراءكم كنوسا في مكائس الريب . حرام على الطعام والشراب
حتى اسوبها بالارض هدماء واحراقا . انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح
الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وسدة في غير غف وانى اقسم
بالله لا اخذن الولي بالمولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي
والصحيح منكم في نفسه بالسفيم حتى يلقي الرجل منكم اخاء فيقول
انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم قئاتكم . ان كذبة المنبر بقاء مشهورة
فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فاذا سمعتموها مني
فاعتمزوها في [*] واعلموا ان عندي امثالها . من تقب منكم عليه
فانا ضامن لما يذهب منه فإياي ودجل الليل فاني لا اوتى بمدجل الاسفكت
دمه وقد اجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم .
واياي ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا دعا بها الا قطعت لسانه . قد
احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما
غرقناه ومن احرق قوما احرقناه ومن تقب بيتا نقبناه عن قلبه ومن نبش
قبرا دفناه حيا فيه فكفوا عن ايديكم وألسنتكم اكفف عنكم يدي
ولساني ولا تظهر من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتهم الا ضربت
عنقه . وقد كانت بيني وبين اقوام احن فجعات ذلك دبر اذننى وتحت
قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسينا فليززع
[*] قوله فاعتمزوها اي فاطعنوا على بها . يقال فعلت شيئا فاعتمزته فلان اي
طعن على فيه .

من اساءته . انى لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضى لم اكشف له قناعا ولم اهتك له ستر حتى يبدي لى صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتس بقدمنا سيرو مسرور بقدمنا سيئتس . ايها الناس انا اصبحتنا لكم ساسة وعنكم ذادة بسوسكم بسلطان الله الذى اعطانا ونذود عنكم بنى الله الذى حولنا فاذا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولبنا فاستوجوا عدلنا وفياتنا بمناصحتكم لنا واعلموا انى مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجا عن طالب حاجة منكم ولوانانى طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا [١] لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لا ائتمكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا ندر كوا له حاجتكم مع انه لو استحيب لكم فيهم لكان شرا لكم اسأل الله ان يعين كلا على كل واذا رأيتونى انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم الله ان لى فيكم لصرى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعى . قال فقام اليه عبدالله بن الاهتم فقال اشهد ايها الامير لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له كذبت ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه قال فقام الاحنف بن قيس فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا ان نثنى حتى نبلى فقال له زياد صدقت فقام ابو بلال مرداس بن امية وهو همس ويقول انبأنا الله بغير ما قلت قال الله وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ماسعى وانت تزعم انك تأخذ البرى بالسقيم والمطيع بالعاصى والمقبل بالمدير . فسمعها زياد فقال له انا لا نبليغ ما نريد فيك وفى اصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا .

[١] قوله ولا مجمرا لكم بعثا اى ولا حابسا لكم جيشا فى ارض العدو يقال جبر الجيش اى حبسهم فى ارض العدو ولم ينفذهم من الثغر وفى الحديث لا تجمروا الجيش فتقتلهم .

وزياد هذا كان من مشاهير خطباء العرب وكان كلما اطال الكلام زاد اجادة فيه . فقد روى عن خلاد بن يزيد الارقط انه قال سمعت من يخبر ان الشعبي قال ماسمعت متكلماً على منبر قط تكلم فاحسن الا احببت ان يسكت خوفاً من ان يسيء الا زياداً فانه كان كلما اكثر كان اجود كلاماً . وقال ابو الحسن المدائني قال الحسن اوعد عمر فعفا واوعد زياد فابتلى قال وقال الحسن ايضاً تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس .

المبحث التاسع

ف

تمثل الخطباء بالشعر

ان جميع خطباء العرب من اهل المدر والوبر على ضريين ومنها الطول ومنها القصار والخطب الطوال اكثر مئة للتمثل بالشعر فيها لان الطول داع الى ذلك غير ان الجاحظ قد صرح في كتاب البيان بان اكثر الخطباء لا يمتثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر وانهم لا يكرهونه في الرسائل الا ان تكون الى الخلفاء . قلل وسمعت مؤمل بن خاقان يخطب وذكر في خطبته تميم بن مر فقال ان تيمماً له الشرف القديم والسؤدد والعز الاقص والعدد الهيضل وهي في الجاهلية القدم والازوة والسنام وقد قال الشاعر .

فقلت له وانكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم

قال وكان صالح المري القاص العابد البليغ كثيراً ما ينشد في قصصه وفي مواعظه هذا البيت .

فبات يروى اصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

وانشد الحسن في مجلسه وفي قصصه وفي مواظبه

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

قال وانشد عبدالصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي الخطيب القاص
الشجاع اما في قصصه واما في خطبة من خطبه

ارض تخيرها لطيب مقلها كعب بن مامة وابن ام دؤاد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فارى النعيم وكل ما يلهمي به يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال ابو الحسن خطب عبدالله بن الحسن على منبر البصرة في العيد فانشد
في خطبته

اين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيا

تلك المدائن بالآفاق خالية امست خلاء وذاق الموت بانيها

ومن الخطب التي انشد فيها صاحبها خطبة عبدالله بن همام السلولى التي
هنأ بها يزيد بن معاوية بالخلافة وعزاه عن ابيه قال :

يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك فى العطية واعانك على

الرعية فلقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما اعطيت

واصبر على مارزيت فقد فقدت الخليفة واعطيت الخلافة ففارقت جليلا

ووهبت جزيلا قضى معاوية نجه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة فاعطيت

السياسة فاوردك الله موارد السرور ووقفك لصالح الامور وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم واشكر ائجاء الذى بالملك اصفاك

لارزء اصبح فى الاقوام قد علموا كما رزئت ولا عفى كمقباك

اصبحت راعى اهل الدين كلهم فانت ترعاهم والله يرعاك

وفى معاوية الباقي لنا خلف اذا نعت ولا نسمع بمنعاك

ومن الخطب التي انشد فيها صاحبها ممثلا خطبة الحجاج التي خطبها

لما قدم الكوفة واليا . قال الجاحظ حدثني محمد بن يحيى بن علي عن عبد الحميد عن عبد الله بن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على التجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب الى الحرورية فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال : على بالناس فحسبوه واصحابه خوارج فهموا به حتى اذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

اما والله اني لاحتمل الشر بحلمه واحذوه بنعله واجزيه بمثله وانى لارى رؤسا قد اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وانى لانظر الى الدماء تفرق بين العمائم والالحا « قد سمرت عن ساقها فشمس » ثم قال

هذا اوان الشد فاستدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضم

قال ايضا

قد لفها الليل بعصايّ اروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرابي

انى والله يا اهل العراق والشقاق والتفاق ومساوى الاخلاق ما اغمر نعمازالتين ولا يقع لي بالشنان ولقد فمرت عن ذكاء وفقتت عن تجربة وجريت من الغاية ان امير المؤمنين كب كنياته ثم عجم عيد انها فوجدنى امرها عودا واصلها عمودا فوجهنى اليكم فانكم طالما اوضعتم فى الفتن واضطجعت فى مراقد الضلال وسنتم سنن النى اما والله لالحوونكم لحو العصا ولا عصبنكم عصب السلمة ولا ضربنكم غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغدا من كل

مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .
انى والله لااعد الاوفيت ولا اهر الا امضيت ولا اخلق الا فريت فايلى
وهذه الجماعات والاولا وقبلها وما نقول وفيهم اتهم وذلك اما والله لتستقيم
على طريق الحق اولاد عن لكل رجل منكم ساعلا فى جسده . من وجدت
بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهت ماله ثم دخل منزله .

وللهججاج خطبة اخرى انشد فيها ايضا قال الهيثم بن عدى قال
انباتى ابن عيأس عن ابيه قال خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة
فسمع تكبيرا فى السوق فراحه ذلك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
وصلى على نبيه ثم قال يا اهل العراق يا اهل الشقاق والتفاق ومساوى
الاخلاق وبني اللكيعة وعبيد العصا واولاد الاماء والفقع بالقرفر انى
سمعت تكبيرا لايراد به الله وانما يراد به الشيطان وانما منى ومثلكم
ما قال عمرو بن براق الهمدانى .

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل انا فى ذايال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما وانفا حيا تجتنبك المطالم
اما والله لا تفرع عصا عصا الاجلنها كامس الدابر .

المبحث العاشر

ف

منزلة الخطيب والشاعر عند العرب

لا نريد هنا ان نحكم حكما باتا فيما بين منزلتى الخطيب والشاعر من
التفاضل حتى يتعين بذلك أيهما اعلى منزلة من الآخر لان ذلك ليس
من غرضنا ههنا ولانه داع الى التطويل الذى ليس لنا من الوقت ما يسهه .
سوى ان الحكم العام فى هذه المسألة هو ان المجتمع الانسانى محتاج الى
كليهما ولكن هذا الاحتياج قد يتفاوت فى الدرجات بسبب ما يمرض له

من الزيادة والتقصان فربما يطرأ من الاحوال ويحدث من الامور ما تكون الحاجة فيه الى الشاعر اشد فيعلو على الخطيب منزلة وبالعكس . وايضاً يطرأ على اهل الشعر او اهل الخطابة من الاحوال ما يستوجب علو منزلة احد الفريقين على الآخر .

اما العرب فقد كانوا اشد الالم اهتماماً بشعرائهم وخطبائهم حتى لقد كان لكل قبيلة شاعر وخطيب وكانت القبيلة اذانبغ فيها شاعر اتها القبائل تهنتها به . وقد كان الشعراء عندهم اعلى منزلة من الخطباء ولكنهم لما تبذلوا في الشعر انحط منزلتهم وصارت منزلة الخطباء اعلى من منزلتهم . قال الجاحظ قال ابو عمرو بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غناهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوق وتسرعوا الى اعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول « الشعر ادنى مروءة السرى واسرى مروءة الدنى » قال ولقد وضع قول الشعر من قدر الثابغة الذبياني ولو كان في الدهر الاول ما زاده الا رفعة اه وقد زعم جر جي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ان محبي الاسلام هو السبب في تقديم الخطيب على الشاعر . وهذا خطأ فاحش منه والصواب ما قاله ابو عمرو بن العلاء الذي هو اعلم الاولين والآخرين باخبار العرب واحوالهم وناهيك برجل فيه يقول الفرزدق الذي هو كما قال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس

مازلت افتح ابوابا واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

وفي ابى عمرو هذا يقول مكى بن سواده

الجامع العلم نساء ويحفظه والصادق القول ان انداده كذبوا

المبحث الحادى عشر

ف

ان الخطيب قد يكون شاعرا ايضا

ليس هناك فرق كبير بين صناعة الخطيب وصناعة الشاعر اذ كلتا الصناعتين شعرية ادبية فكلا الرجلين من خطيب وشاعر يقولان الشعر غاية ما هنالك ان شعر احدهما موزون وشعر الآخر غير موزون . ومع ذلك فان مواقعهما مختلفة فالشاعر مواقف لا يبقها الخطيب وللخطيب مواقف لا يبقها الشاعر ومن اجل ذلك اختلف منزلتهما في المجتمع الانسانى وحاز ان يقع التفاضل بين منزلتيهما .

وربما اجتمعت الصناعتان في شخص واحد فكان خطيبا وشاعرا قال الجاحظ وفي الخطباء من يكون شاعرا ويكون اذا تحدث او وصف او احتج بليغا منوها بينا وربما كان خطيبا فقط وشاعرا فقط وبين اللسان فقط اه والذى يفهم من كلام الجاحظ هذا ان هناك رجلا ثالثا غير الخطيب والشاعر وهو البليغ المفود اليين اللسان . وعلمه فقد يكون الانسان ذابلاغة وبيان ولا يكون خطيبا ومعنى ذلك انه اذا تكلم تكلم ببلاغة وحسن بيان ولكن لا يستطيع ان يقف موقف الخطيب وكذلك كان ثابت بن عبدالله بن الزبير قال الجاحظ كان ثابت بن عبدالله بن الزبير من اين الناس ولم يكن خطيبا .

قال والخطباء كثير والشعراء اكثر منهم ومن يجمع الخطابة والشعر قليل فمن جمعوا الخطابة والشعر عمرو بن الاهتم المنقرى التميمى وكان يدعى المكحل لجماله وهو الذى قيل فيه انما شعره حلال منشرة بين ايدى الملوك تأخذ منه ماشاءت ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه اخطب منه . وعمرو بن الاهتم هذا هو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى

حسن بيانه وبراعة منطقته (ان من البيان لسحرا) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الازهر عن الزبرقان بن بدر والزبرقان حاضر فقال انه مانع لحوزته مطاع في اذنيه فقال الزبرقان اما انه قد علم اكثر مما قال لكنه حسدني شرفي فقال عمرو اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الاضيق المصدر زمر المروءة لثيم الحال حديث الغنى . فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقبح ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك (ان من البيان لسحرا) .

ومن جمعوا الخطابة والشعر قس بن ساعدة الياضى وهو الذى روى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه وذكر موقفه على جملة بمعكاز وموعظته وعجب من حسنه واظهر من تصويبه قال الجاحظ وهذا اسناد تعجز عنه الاماني ونقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك لنفس ابن ساعدة لاحتجاجة للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب فاطبة .

ومن جمعوا الخطابة والشعر من خطباء اباد زيد بن جندب الياضى خطيب الازارقة وقد ذكره الشاعر في مرثيته لابي داود بن جرير الياضى ضاربا المثل به وبغيره من خطباء اباد حيث قال

نعى ابن جرير حاهل بصبابه	فم تزارا بالبكا والنحوب
لنا كالليث يحمى عربنه	وكالبدر يغشى ضوءه كل كوكب
واصبر من عود واهدى اذا سرى	من النجم فى داج من الليل غيب
واضرب من حد السنان لسانه	وامضى من السيف الحسام المشطب
زعيم تزار كلها وخطيبها	اذا قال طاطا رأسه كل مشغب
سليل قروم سادة ثم قاله	يزنون يوم الجمع اهل المحصب

كقس اباد اولقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زبد بن جندب
وزيد بن جندب هذا هو الذي يقول في الاختلاف الذي وقع بين
الازارقة .

قل للمحليين قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا اناسا على دين ففرقنا فرع الكلام وخلط الجدل باللعب
ما كان اغنى رجالا ضل سعيهم عن الجدال واغناهم عن الخطب
اني لاهونكم في الارض مضطربا مالى سوى فرسى والريح من انشب
ومن الخطباء الشعراء البيهت المجاسى واسمه حداس بن بستر بن لبيد
وانما قيل له البيهت لقوله

تبعثت منى ماتبعثت بعدما امرت حبالي كل مرها شزرا
وفال عبدالله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن اخطاب بن نيم فقال
حداس بن لبيد يعنى البيهت الشاعر وفال ابو اليفظان كانوا يقولون
اخطب بن تميم البيهت اذا اخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض
ثم رفعها ولم يكن البيهت في الشعر مبرزا كالخطابة ولذلك فال يوس
لعمرى لئن كان مغلبا في الشعر لفدكان غاب في الخطب . واذا قالوا غلب
فهو الغالب واذا قالوا مغلب فهو المغلوب كما قال امرؤ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
وليس البيهت وحده ترك اسمه واسم آخر مشتق من سعة
بل امثاله في ذلك كثير فتم عوف بن حصين بن حذافة بن بدر غلب
عليه عوف القوافى لقوله .

ساكذب من قد كان يزعم انى اذا قلت شعرا لا اجيد القوافيا
فسمى عوف القوافى . ومنهم يزيد بن ضرار التغلبي غلب عليه
المزرد لقوله

فقلت تزردھا عیید فاتی لدرد الموالی فی السنین مزرد
فسمی المزرد وقوله تزردھا ای ابتلعھا . والدرد جمع ادرد وهو من
ذهبت اسنانه کلھا . ومنهم عمرو بن سعید بن ملک غلب علیه المرقش
لقوله

الدار ققر والرسوم کما رقص فی ظهر الادیم قلم
فسمی مرقشا . ومنهم سالم بن نهار العبدی غلب علیه الممزق لقوله
فان کنت مأکولا فکن خیر آکل والا فادرکنی ولما امزق
فسمی الممزق . ومنهم جریر بن عبدالمسیح الضبی غلب علیه المتلمس
وذلك لقوله

فهذا اوان العرض طن ذبابه زنایره والازرق المتلمس
فسمی المتلمس . ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو المسامی ابو خنساء بنت
عمرو غلب علیه الشرید لقوله

تولی اخوتی وبقيت فردا وحيدا فی دیارهم شریدا
فسمی الشرید . ومنهم من المولدين مسلم بن الولید غلب علیه صریع
الغوانی وذلك لقوله
وما العیش الا ان اروح مع الصبا واغدو صریع الراح والاعین النجل
فسمی صریع الغوانی . ومنهم ابوالطیب احمد بن الحسین غلب علیه
المتنبی لقوله

انا فی امة تدارکھا الله غریب کصالح فی ثمود
فسمی المتنبی وقیل سمی بذلك لانه ادعی النبوة وهو قول ضعیف
ومن الخطباء والشعراء الکمیت بن زید الاسدی وکنیته ابوالمستهل
وهو من شعراء مضر وألسنها وكان مشهورا بالتشیيع لبني هاشم وله
قصائد فیهم تسمى الهاشمیات وهو القائل من قصیدة له فی هذا الباب .

بنى هاسم رهط النبي فأتى بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائى وكنيته ابو نفر
وهو من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم نشأ فى الشام وانتقل الى
الكوفة مع من وردها من جيوش اهل الشام واعتقد مذهب الشيعة
والازارقة بدل على ذلك قوله .

لقد سقيت سقاء لا انقطاع له . ان لم افز فوزه تحبى من النار
والنار لم تنج من روعاتها احد . الا المنيب بقلب المخلص الشارى
والذى سبقت من قبل مولده . له السعادة من خلافتها البارى

وكان معاصرا للكعبية بن زيد الاسدى المتقدم ذكره وكانا صديقين
قال الجاحظ ولم ير الناس اعجب حالا من الكعبية والطرماح كان الكعبية
عدونا نيا عصبيا وكان الطرماح فخطابا عصبيا وكان الكعبية سعييا من
الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصغرة وكان الكعبية بتعصب لاهل
الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام وبهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة
ما لم يكن بين نفسيين قط ثم لم يحجر بينهما صرم ولا جصوة ولا اعراض
ولاشئ مما ندعو هذه الحاصل اليه . قال القاسم بن معن قال محمد بن
سهل راوية الكعبية انشدت الكعبية قول الطرماح .

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى المجد واسترخى غنان القصائد
فقال الكعبية اى والله وغنان الخطابة والرواية . وكان الاصمعي
يستجيد قول الطرماح فى صفة الثور

يبدو وتضمره التلال كأنه سيف يسل على التلال ويغمد

وللطرماح قصائد كثيرة فى هجو بنى تميم وهو القائل فيها
تيمم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته ابو شهاب احد بنى

عمرو بن تبيان اخوة سدوس وكن من خطباء الشراة ودعائهم المقدمين
في مذاهبهم فهو رئيس القعدة وصاحب قتيابهم ومقرّتهم عند اختلافهم
وكان الحجاج يابج في طاب عمران بن حطان وبلغه ان غزاة الحرورية
دخلت على الحجاج فتحصن منها واغلق عليه قصره فكتب اليه عمران

اسد على وفي الحروب نعمة ربداء تحفل من صفيير الصافر
هلا برزت الى غزاة في الوغى بل كان قبلك في جناحي طائر
صدعت غزاة قابه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر

ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار احد نى لبث بن بكر صاحب
خراسان وهو يعد في اصحاب الولايات وفي الحروب وفي التدبير والعقل
وشدة الرأي . ومنهم دغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة . ومنهم
الققعاق بن سور ومنهم عجلان بن سحبان الباهلى وسحبان هذا هو
سحبان وائل وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ومن قد نفاير اليه الاشراف اعشى
همدان وهو عبدالرحمن بن عبدالله بينه وبين همدان ثلاثة عشر ابا وكان
الاعشى شاعرا فصيحاً وهو زوج اخت الشعبي الفقيه والشعبي زوج اخيه
وكان ممن خرج على الحجاج وحاربه مرات فظفر به واى به اليه اسيرا
فقال له الحجاج الحمد لله الذى امكننى منك أأست القائل كذا أأست
القائل كذا وذكر له ابياتا كان قد قالها في هجو الحجاج وتحريض الناس
على قتاله ثم قال له أأست القائل

واصابى قوم وكنت اصيبتهم فاليوم اصبر للزمان واعرف
واذا تصبكت من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيبة تتكشف

اما والله لتكونن نكبة لا تتكشف غيبتها عنك ابدا يا حرسى اضربا
عنقه فضربت عنقه . وكان قد اسر مرة في بلاد الديلم ثم ان بنتا للعلاج
الذى اسره احبته وصارت اليه ليلا ومكته من نفسها فاصبح وقد واقعها

ثمان مرات فقالت له انتم معشر المسلمين هكذا تعملون بساءكم فقال
نعم فقالت بهذا العمل نصرتهم ثم قالت أفرأيت ان خلاصتك تصطفي
لنفسك فقال نعم وعاهدها فلما كان الليل حلت قيوده واخذت به طريقا
تعرفها وهربت معه فقال في ذلك شاعر من اسراء المسلمين .

فمن كان يفديه من الاسر ماله فهمدان تفدها العداة ابورها

ومن اشعراء الخطاء عمران بن عصام النعري وهو الذي اسار على
عبد الملك بنخلع اخيه عبدالعزيز والبيعة للوليد بن عبدالمالك في خطبته
المشهورة وقصيده المذكورة وهو الذي لما بلغ عبدالمالك بن مروان قتل
الحجاج له قال وبلاه لم قتله هلا رعى له قوله فيه

وبعثت من ولد الاغر معتب صفرا يلوذ حمامه بالعروج
فاذا طبحت بنارده الضجيجا واذا طبحت بغيرها لم تضج
وهو الهزبر اذا اراد فريسة لم يحجها منه صاح الهجهج

ومن خطباء الامصار و--مرأهم والمولدين مهم اشار الاعمى وهو
بشار بن برد وكنيته ابو معاذ كان من احد موالى بنى عقيل فان كان
مولى ام ظباء على ما يقول بنو سدوس وماد كرد حماد عجرد فهو من
موالى بنى سدوس ويقال انه من اهل خراسان نازلا في بنى عقيل
وله مديح كثير في فرسان اهل خراسان ورحلاتهم وهو الذى يقول

انا من خراسان وبقي في الذرا ومن ولد السعاه ورعى قد سبق
وانى لمن قوم خراسان دارهم كرام وفرعى مهم ناضر بسق

وكن شاعرا راجزا خطيبا صاحب متون ومزدوج وله رسائل
معروفة . وانشد عتبة بن رؤبة عتمة بن سلم رجرا يمتدحه فيه وابشار
حاضر فاطهر بشار استحسان الارجوزة فقال عتبة بن رؤبة هذا
طراز يا ابا معاذ لا تحسنه فقال بشار المثل يقال هذا الكلام انا والله

ارجز منك ومن ابيك وجدك ثم غدا على عقبه بن سلم بارجوزته التي
اولها

ياطلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى
وهى التي فيها يقول :

اسلم وحيث ابالملد لله ايامك في معد

وفيه يقول

الخرى ابحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد

وكان بشار يصوب رأى ابليس في تقديم انصار على الطين وفي ذلك
قد قال :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

والصفوان الانصارى قصيدة طويلة يفتد فيها رأى بشار ورد عليه
مذهبه في تقديم النار على الطين قد اوردها الجاحظ في « البيان والبيان »
وقد ذكر الشاعر اخوى اشار لاه فقال :

لعد ولدت ام الاكيمة امرحاً وآخره مطوع القفا ناقص القصد

وكانوا ثلاثة اخوة محتافى الآباء والام واحدة وقال صفوان الانصارى
في بشار واخويه ايضا يخاطب امهم

ولدت خلدا وذبحا في تشتمه وبعده خرز يشتم في العضد

ثلاثة من ثلاث فرقوا فرقا فاعرف بذلك عرق الخال من ولد

والخلد ضرب من الجرذان يولد اعمى والذبح ذكر الضباع وهو امرج
والخرز ذكر الارانب وهو قصير اليد لا يلحقه الكلب في الصيد .

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى اخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر
في اعتذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لا بد للارض ان طابت وان خبت من ان تحيل اليها كل مفروس
وتربة الارض ان جئت وان قحطت فحملها ابداء في اثر منقوس
وبطنها بفلز الارض ذو خبر بكل جوهر في الارض مرموس
وكل آية عمت مراقفها وكل منتقد فيها وملبوس
وكل مائونها كالمليح مرفقة وكلها مضحك من قول ابليس

قوله بفلز الارض الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس
والآنك وغير ذلك . قال الجاحظ والمطبوعون على الشعر من المولدين
بشار العقيلي والسيد الحميري وابو العتاهية وابن ابى عينة قال وقد
ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسام الحاسر وخلف بن خليفة
وابان بن عبد الحميد الاحقى اولى بالطبع من هؤلاء وبشار اطبعهم كلهم .

وقد ذكروا في نسب بشار انا بشار بن برد بن يرجوخ بن ازد كرد
ابن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كردبه بن ماهفيدان بن
دادان بن بهمن بن ازد كرد بن حسيب بن مهران بن خسروان بن اخشين
ابن شهرداد بن نبوذ بن مخرسيدا اثماذ بن نهريار بن -تدار سيحان
ابن مكبر بن ادريس بن يستاب . وبشار هذا يعد من محضرى شعراء
الدولتين الاموية والعباسية وهو بصرى المولد والمنشأ والوفاة ومات
بضرب المهدي له سياطا اتت على تلفه لانكاره عليه انباء بلفته عنه
وذلك سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ من العمر نيفا وسبعين سنة .

ومن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع اليان
الحسن كاثوم بن عمرو العتابي وكنيته ابو عمرو . وعلى الفاظه وحذوه
ومثاله في البديع بقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين
كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى واشباههما وكان العتابي
يحتذى حذو بشار في البديع ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من بشار
وابن هرمة . والعتابي من ولد عمرو بن كلثوم ولذلك قال :

انى امرؤ هدم الاقتار ماثرنى واجتاح ماينت الايام من خطرى
ايام عمرو بن كلثوم يسوده حيا ربيعة والافناء من مضر
ارومة عطائى من مكارمها كالقوس عطلها الراعى من الوتر
نهى ظراف الغوانى عن مواصلى مايفجأ العين من سبي ومن قصرى

وهذا البيت الاخير يدل على انه كان قصيرا .

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والطب والرسائل الطوال
والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والاخبار
المدونة سهل بن هارون بن راهيوى الكاتب صاحب كتاب عملة وعنزة
في معارضة كتاب كذبة ودمنه وكتاب الاخوان وكتاب المسائل وكتاب
الخزومى والمهذبة وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء - خالد بن يزيد بن معاوية كان خطيبا - ساعرا
وفصيحاً حامداً وجيد الرأى كثر الادب وكان اول من ترجم كتب النجوم
والطب والكيمياء .

ومن الخطباء الشعراء عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود فقد كان
مع كونه خطيبا راوية ناسبا ساعرا ولما رجع عن قول المرحلة الى قول
الشيعة قال :

واول ما نفارق غيرك نفارق ما يقول المرجثونا
وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المؤمنين

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فلان ابن الاسعث الزمه ابنه يؤدبه
ويقوته فقال له يوما كيف ترى ابن اخيك قال الزمته رجلا ان غبت
عنه عتب وان آتته حجب وان عاتبه غضب . ثم لزم عمر بن عبدالعزيز
وكان دامنزلة منه قالوا وله يقول جرير لما غبر على باب عمر بن عبدالعزيز
ولم يصل اليه

يا ايها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك انى قد مضى زمنى
ابلق خليفتنا ان كنت لاقيه انى لدى الباب كالمشدود فى قرن
وقد رآك وفود الخافقين معا ومذ وليت امور الناس لم نرنى

ومن جمعوا الخطابة والشعر ابراهيم بن السئدى قال الحاحظ واما
ابراهيم فانه كان رجلا لانظير له وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان
نحويا عروضا وحافظا للحديث راوية للشعر ساعرا وكان فخم الالفاظ
شريف المعانى وكان كاتب الفلم كاتب العمل وكان يتكلم بكلام رؤبة ويعمل
فى الحراج يعمل زاذان فروح الاعور وكان مجسما طيبا وكان من
رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة ورحال الدعوة وكان احفظ الناس لما سمع
واقلمهم نوما واصبرهم على السهر .

ومن الخطباء الشعراء عبدالله بن سبرمة بن طفيل بن هيرة بن المنذر
وكان فصيحا عالما فاضلا وكان راويه ساعرا وكان خطيبا ناسبا وكان حاضر
الجواب مفوها وكان لاجتماع هذه الحاصل فيه بتشبه بعامر الشعى وكان
يكنى اباسبرمة وفيه قال يحيى بن نوفل :

لما سألت الناس ابن المكرمة والعز والجروثومة المقدمة

وابن فاروق الامور المحكمة نتابع الناس على ابن سبرمة

وابن سبرمة هو الذى يقول فى ابى ليلى

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم فى نفسك

قزعم انك لابن الجلاح وهيات دعواك من اصلكا

ومن الخطباء الشعراء ابوالاسود الدثلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل
ابن سفيان كان خطيبا عالما وهو معدود فى التابعين والفقهاء والشعراء
والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والبهاء والنحويين وهو
واضع علم النحو وكان من اكثر الناس تعلقا بعلى كرم الله وجهه وعنه
اخذ علم النحو كما هو مشهور اما من حيث الشعر فقد كان من نصراء الشعرة

لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل اكثر امثاله وكان معاوية لا يعتمد اذاه ولكنه كان يضايقه فلم يروله طعن في نبى امة واكثر شعره في الحكم والادب وله من قصيدة

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالتقوم اعداء له وخصوم
كفرا اثر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لدميم
ولاريب ان الذين جمعوا الخطابة والشعر اكثر ممن ذكرنا وليس من
غرضنا استقصاؤهم وانما ذكرنا من ذكرنا منهم على سبيل المثال وحسبنا
هذا المداد .

المبحث الثانى عشر

فما يعرض للخطيب من الرتج والحصر

قد تعرض للخطيب اثناء الخطبة حالة يستعصى معها عليه الكلام فيقف ساكنا لا يدري ماذا يقول ويسمى ذلك بالحصر وبلرتج يقال حصر الخطيب فى خطبته حصرا اذا عجز ولم يقدر على النطق وقال رتج رتجا اذا استغلق عليه الكلام ويقال ايضا ارتج عليه وارتجج واسترتج بصيغة المجهول اى استغلق عليه الكلام كأنه اطبق عليه . واكثر ما يكون ذلك فى اول الخطبة وهو دليل على ان مركب الخطابة صعب لا يذل الا لمن اوتى مع ذلاقة اللسان جرأة الجنان . غير ان عروض مثل ذلك للخطيب لا يزدري به ولا يحط من قدره وقد عرض الحصر لكثير من الخطباء المصاقع ولم يتعيبهم احد به لانه عرض زائل والمعيب انما هو الى الحصر الدائم .

فمن اصابه الحصر فى الخطابة عثمان رضى الله عنه وذلك انه صعد المنبر فارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا واتم الى

امام عادل احوج منكم الى امام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى . ونحو هذا الكلام اعتذر ايضا ثابت بن قطنة الشاعر المشهور . وذلك ان يزيد بن المهلب ولاه عملا في خراسان فلما صعد المنبر رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال سيجعل الله بعدعسر يسرا او بعد عي بيانا واتم الى امير فمال احوج منكم الى امير قوال

وان لم اكن فيكم خطيبا فاني بسيفي اذا جدالو عى لخطيب

ومن خطب فارتج عليه في اثناء الخطبة عبدالله بن الحسن وذلك ان يوسف بن عمر لما بعث برأس زيد بن علي بن الحسين مع سبة بن عثمان وكاف آل ابي طالب ان يروا من زيد وبقوم الخطباء بذلك قام عبدالله بن الحسن فاوجز في كلامه ثم حبس فقام بعده عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر فاطنب في كلامه وكان شاعرا بينا وخطيبا اسنا فاحصر ف الناس وهم يقولون ابن الطيار اخطب الناس قليل لعبدالله بن الحسن في ذلك فقال لوسئت ان اقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور فاعجب الناس ذلك منه

وقال ابو الحسن صعد عدى بن اوطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حصر فقال الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم . وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد شنفوا ابصارهم وفتحوا اسماعهم نحوه قال نكسوا رؤسكم وغضوا ابصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسر الله فنج قفل تيسر . وقال ابو الحسن ايضا خطب مصعب بن حيان اخو مقاتل ابن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت ام الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك . وخطب عبدالله بن عامر على منبر البصرة فحصر وشق ذلك عليه فقال له زياد يسليه ايها الامير انك ان اتمت عامة من ترى اصابه اكثر مما اصابك . وقيل لرجل من الوجوه قم فاصعد المنبر وتكلم فبتملما صعد حصر وقال الحمد لله الذى

هؤلاء ، وبقي ساكتا فانزلوه وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجود الناس وقعت عينه على صاعقة رجل فقال اللهم العن هذه الصاعقة وقيل لوازع اليشكري قم فاصعد المنبر وتكلم فلما صعد ورأى جمع الناس حصر فقال لولا ان امرأتى لعنها الله حملتنى على اتيان الجمعة اليوم ما جمعت وانا اشهدكم انها منى طالق نلانا . وفى ذلك قال الشاعر

وما ضررتنى ان لا اقوم بخطبة وما رغبتى فى ذا الذى قال وازع

قلنا ان ما يعرض للخطيب من الرنج والحصر غير معيب لانه عارض بزول وربما اصاب به الخطيب المصفع ولانه غير ناشئ عن عجز عن الكلام ولا عن ضعف فى القدرة على البيان وانما المعيب هو الى الخطل بان يخطئ نهج الصواب فى كلامه ولا يكشف الفساع عن وجه مرامه ويأتى بالكلام التافه والعمارة الزائدة من غير فائدة قال الميثم خطب قيصة وهو حليمة ابيه على خراسان وقد اتاه كتابه فقال هذا كتاب الامير وهو والله اهل لان اطيعه وهو ابى واكبر منى . فاذا نظرت الى هذا الكلام وما فيه من الرفاعة هانت عندك مصيبة الخطيب بما يعرض له من الحصر فى خطبته فالحصر غير معيب وانما المعيب ان يتكلم كلاما يكون السكوت اعلى قدرا منه ككلام قيصة هذا . ومن هذا القيل ماد كروه عن عتاب بن ورفاء قالوا انه خطب يوما فقال فى خطبته هذا كما قال الله تبارك وتعالى انما يتفاضل الناس باعمالهم وكل ما هو آت قريب فقالوا له ان هذا ليس من كتاب الله قال ما ظننت الا انه من كتاب الله .

وخطب عدى بن زياد الايدى فقال اقول كما قال العبد الصالح ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فقالوا له ليس هذا من قول العبد الصالح انما هو قول فرعون قال من قاله فقد احسن . وخطب الى اليمامة فقال ان الله لا يقار عباده على المعاصى وقد اهلك الله امة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى ماثنى درهم . فسمى مقوم ناقة الله .

وخطب وكيع بن ابى سود بنجراسان فقال ان الله خلق السموات والارض في ستة اسهر فليل له اسها ستة ايام قال وايت لقد قلها وانى لاستقلها . وصعد المنبر يوما فقال ان ربعة لم تزل عضابا على الله منذ بعث نبيه من مضر ألاوان ربعة قوم كشف [١] فاذا رأيتوهم فاطعنوا - ايل في مناخرها فان فرسا لم يطعن في منحرد الا كان اسد على فارسه من عدوه . فالخصر حير من هذا وما سهره .

المبحث الثالث عشر

ف

للحن ومن وقع لهنم اللحن من البلاء الابيناء

الحن هو الخطأ في الاعراب والبناء كرفع المنسوب ونصب المرفوع وفتح المكسور وكسر المفتوح . وقد يطلق اللحن ويراد به مخالفة نهج الصواب في الكلام بوجه من الوجود كتقصير ماحقه المد ومد ماحقه التقصير ولاسما في القرآن وقد قال الميساني في هجاء اهل المدينة

ولحنكم بتقصير ومد والام من بدب على العفار

قال الجاحظ وقال يوسف بن خالد التيمي اعمر بن عبيد ماتقول في دجاجة دبجت من قفائها فقال له عمرو احسن فقال من قفائها قال احسن قال من قفائها قال له من عناك هذا قل من قفائها واسترح . قال وسمعت من يوسف بن خالد يقول لاحق يشحه بكسر الشين يريد حتى يشجه بضم الشين . وكان يوسف يقول هذا احمر من هذا يريد هذا اسد حمرة من هذا . قال وكئن هشيم يقول حدثنا يونس عن الحسن [١] بوله قوم كشف الكشف بضمين الذين لا يصدقون القتال ولا يعرف له

يقولها (اى كلمة يونس) بفتح الياء وكسر النون . وكان عبد الاعلى السامى يقول فاحذ فصرعه فذبحه فاكله بكسر هذا اجمع .

فهذا كله يعد لحنا وان لم يكن من الخطأ فى الاعراب . واللعن بكلا المعنيين معيب فى الخطابة ومخل بآدابها وكذلك قال عبد الملك بن مروان اللحن هجئة على الشريف والعيب آفة الرأى . وكان يقال اللحن فى المنطق اقبح من آثار الجدرى فى الوجه وقال ابو الطيب اللغوى ان اول ما اختل من كلام العرب واحوج الى التعلم الاعراب لان اللحن ظهر فى كلام الموالى والمنعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم فال فقد روبنا ان رجلا لحن بحضرة فقال ارادوا اخاكم فقد ضل . وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لان اقرأ فاسقط احب الى من ان اقرأ فالحن . وقد كان اللحن معروفا بل قد روبنا من لفظ النى صلى الله عليه وسلم انه قال انا من قريش ونشئت فى نبي سعدة فانى لى اللحن . وكتب كتب لابي موسى الاسعري الى عمر فلحن فكتب اليه عمر ان اضرب كتابك سوطا واحدا . وقد علمت ان الاعراب حلبة الخطابة وزيتها كما جاء فى قول ابن جرير الذى ذكرناه لك سابقا فى مبحث (قوام الخطابة وآدابها) فاذا وقع اللحن فيها سقطت حليتها وذهبت زيتها بل قد يكون الكلام اذا وقع فيه اللحن ناقصا غير مفهوما المعنى كما ذكرنا ان اعرابيا سمع رجلا يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا . وذلك انه لما جاء بخبر ان منصوبا فهم الاعرابى ان رسول الله صفة او بدل فبغت ان بلا خبر وبقى الكلام ناقصا فقال (يفعل ماذا) يسأله عن الامر . وقد قلنا فيما سبق ايضا ان مصيبة الخطيب الراذل اى الذى يأتى بالنفاضة مردولة غير متحيرة اعظم من مصيبة الخطيب اللحن لان اللحن مهما كان معيبا فهو مقتدر وقد وقع لكثير من الخطباء والعلماء الابداء فال الجاحظ ومن اللحنين البلغاء خالد بن عبد الله القسرى وخالد بن صفوان الابهتمى وعيسى بن المدور . وفى خالد بن عبد الله هذا يقول يحيى بن نوفل

والحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب

وزعم المدائني ان خالد بن عبدالله قال ان كنتم رجبون فانا رمضانيون قال الجاحظ ولولا ان تلك الدجـ ثب قد صحت على الوليد ماجوزت هذا على خالد . والوليد هذا هو الوليد بن عبد الملك وكان حنانا قال بكر ابن عبد العزيز الدمشقي سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول اذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم وادا وعدتكم فاخلفتكم فلا طاعة لى عليكم واذا اعربتكم فحجمرتكم فلا طاعة لى عليكم . قال فبقول مثل هذا الكلام تم بقول لايه يا امير المؤمنين اقبل ابى فديك وقال مرة اخرى يا اعلام رد الفرسان الصادان عن الميدان . قال وقال عبد الملك اضر بالوليد حنـا له فلم توجهه الى البادية . قال ولحن الوليد على المنبر فقال الكيـروس لا والله ان رأسته على هذه الاعواد قط فامكنى ان املا عنى منه من كبره فى عينى وجلالته فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كـبعض اعوانه .

ومن الاحيانين الباغاء ابو معمر قال الجاحظ حدثنا عثم ابو محجب عن الاعمش عن عمارد بن عمير قال كن ابو معمر بخـدا . فبلحن . ومهم عبيد الله بن زياد قال ابو الحسن اوفد زياد اسـه عبيد الله الى معاوية فكتب اليه معاوية ان ابلـك كما وصفت وامكن قوم من اسـانه وكانت فى عبيد الله لكـنة لانه كان نشأ بالاسـاوره مع امه مرجانة وكان زياد تزوجها من سيرويه الاسـوارى وقال عبيد الله مرة افتحوا سيوفكم يرد سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مـرغ .

ويوم فتحت سيفك من بعيد اضمت وكل امرك للضياع

ولما كلمه سويد بن منجوف فى الهـشـات بن ثور قال له يا ابن البظراء فقال له سويد كذبت على نساء بنى سدوس قال اجلس على استـ الارض قال سويد ما كنت احسب ان للارض استـا . فقول عبيد الله افتحوا

سيوفكم واجلس على ات الارض لحن لكن لا من جهة الاعراب بل من جهة كونه مخالفا لتهج المصواب في الكلام . ومن وقع لهم اللحن بشر بن مروان حيث قال مرة وعنده عمر بن عبدالعزيز لغلام له ادع على صالحا فقال العلامة يا صالحا فقال له بنسألق منها الف قال له عمر وانت فزد في الفلك الفا . وفيل لابي حنيفة ما نقول في رجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أقيده به قال لا ولو ضرب رأسه بابا قيس . وروى ابو الحسن ان الحجاج كان يقرأ أنا من المحرمين المنتقمون وقد زعم رؤية ابن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج وغاد الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله ص والفرآن والحرف الآخر وما تنزلات به الشياطين وقال ابو الحسن كان سابق الاعمى يقول الحماقي الباري المصور فكان ابن جابان اذا لقيه قال يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه . قالوا واول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي واول لحن سمع بالعراق حي على الفلاح . ودخل ابو الفضل بن عياف على كافور الاخشيدى وعنده البحرى الشاعر المشهور فقال له ادام الله ايام سيدنا (بالحفض) ولحن فقال البحرى مرتجلا .

لاغرو ان لحن الداعي لسيدنا وغص من هية بالريق والهر
فمثل سيدنا حالت مهابة بين البليغ وبين القول بالحصر
فان يكن خفض الايام من دهش من سدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا والقال مأثرة عن سيد البشر
بان ايامه خفض بلا نصب وان دولته صفو بلا كدر

ورب فائل يقول ليس من الحق ان يكون الاصح معييا على الخطيب لان مدار الامر على الافهام فهو الغاية المقصودة من الكلام فالخطيب اذا افهم السامعين حاجته ولو بالكلام الملحون فاجدر به ان يعد في عداد مصاقع الخطباء ولاضير عليه من اللحن وأى ضرر في مخالفة الاعراب

اوضح الصواب بعد ان يكون الافهام حاصلًا وقد فال العتاني حين سئل
عن البلاغة كل من افهمك حاجته فهو بليغ .

والجواب ان مدار الامر ليس على الافهام مطلقا بل على الافهام على
مجرى كلام الفصحاء ولو كان مدار الامر على الافهام وحده لاتصف بالبلاغة
كل احد حتى العجماوات فانا نفهم محمجة الفرس كثيرا من حاجانه كما
نفهم من هؤلاء الحرس الذين يكلمونا بالاساره كل ما ارادوا من المعاني
وليس هم من البلاغة في شيء واليك ما قاله الحافظ في دحض هذه الحجة
وتفنيد هذا الرأي حيث قال والعتاني حين زعم ان كل من افهمك حاجته
فهو بليغ لم يعن ان كل من افهمنا من معاصر المولدين والبلديين قصده
ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه انه
محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد ان نكون قد فهمنا عنه معنى كلام
النبطى الذى قيل له لم استريت هذا لانى قال اركها وتلدلى وقد علمنا
ان معناه كان صحيحا وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لاهل
مجلسه ما من شئ من دين وانه قال حين قيل له ولم دالك يا ايا فلان قال
من جرى تعلقون وما شئت انه قد ذهب مذهبا وانه كما قال معنى
قول ابى الحمير الحراسانى النحاس حين قال له الحجاج أنييع الدواب
المعية من جند السلطان قال سريكاننا فى هوازها وسريكاننا فى مداينها
وكما تجي تكون قال الحجاج ما قول ويلك فقال بعض من قد كان اعتاد
سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار نفهم مثل ذلك نقول شركاؤنا
بالاهواز والمدائن يبعون الينا بهذه الدواب فتحن بيعها على وجوهها
وقلت لحادم لى فى أى صناعة اسلموا هذا الغلام قال اصحاب سند نعال
يريد فى اصحاب النعال السندية . وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب
الذى دونه اكتب لى قل حظى وربحنى منه . فمن زعم ان البلاغة ان
يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب
والاغلاق والابانة والملحون والمغرب كله سواء وكله بيانا وكيف يكون

ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفساد من الكلام لما عرفه ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذي فينا واهل هذه اللغة وارباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء باكملهم كما لا يعرفون رطانة الروم والمصقاب . وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بانا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهمهم . بمحممة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهمهم بضغاء السنور كثيرا من اراداته وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع وانما عني العتابي افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء . واصحاب هذه اللغة لا يفهمون قول القائل منا

« مكره اخاك لا بطل » و « اذا عن اخاك فهم »

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ذهبت الى ابو زيد ورأيت ابى عمرو ومتى وجد التحويون اعرابيا يفهم هذا وانسابه بهرجوء ولم يسمعوا منه لان ذلك بدل على طول اقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان لان تلك اللغة انما انقادات واستتوت واطردت وتكلمات بالحصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة وقد روى اصحابنا ان رجلا من البلديين قال لاعرابي كيف اهلك قالها بكسر اللام فقال صلبا لانه اجابه على فهمه ولم يعلم انه اراد المسئلة عن اهله وعياله . وحكى الكسائي انه قال للغلام بالبادية من خلقت وجزم القاف فلم يدر ما قال ولم يحبه فرد عليه السؤال فقال الغلام لعلك تريد من خلقت . وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول نعم في الجواب قال نعم وثناء لان لغته نعم وقيل لعمر بن لجاه قل انا من المجرمون متقمين فقال انا من المجرمين متقمون . انتهى وقال الجاحظ في موضع آخر من كتابه ثم اعلم ان اقبح اللحن لحن اصحاب التعيير والتعقيب والتشديد والتعطيط والجهورة والتفخيم واقبح من ذلك لحن الاعراب النازلين على طرق السابلة ويقرب مجامع الاسواق قال واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوارب الملاح ومن ذوات الحدور الغرائر ايسر وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف .

المبحث الرابع عشر

ف

تخيير اللفظ

قال ابوداود بن جرير « رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الاعراب وبراؤها تخيير اللفظ » فيفهم من هذا ان بهاء الخطبة مقرون بتخير الفاظها وانتقاء كلماتها فان الخطيب اذا تخير الالفاظ في خطبته وانهاها في كلامه جاءت خطبته من البهاء والرواء بما يستنز السامعين وبتملك اسماعهم وبجذب قلوبهم بخلاف ما اذا رمى الكلام على عواهنه وحاء بالفاظ مردولة وكلمات مبذولة فان خطبته تكون حينئذ خلوا من البهاء فتستسهجها النفوس ولا تضاد لها الاسماع وان كانت معانيها شرفة وذلك لان المعنى الشريف اذا اقترن باللفظ السخيف سقط شرفه وعاد مسهجا فسخافه اللفظ تمحو شرف المعنى ولا عكس اى ان سخافة المعنى لا تمحو شرف اللفظ فان المعنى السخيف اذا اكتسى لفظا شريفا غطي شرف اللفظ على سخافته وشفع له فيها ولذلك قلنا فيما سبق ان مصيبة الخطيب الرادل اعظم من مصيبة الخطيب اللاحن . غير ان مسألة تخيير الالفاظ تختلف باختلاف المقامات التي يقوم فيها الخطيب فما عليه اذن الا ان يراعى مقتضى المقام في تخيير الفاظه وتنسيق كلامه فينبغي له ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مناسما فن كان الخطيب متكلمة مثلا تجنب الفاظ المتكلمين في مصطلحاتهم الكلامية كما اننا ان عبر عن شئ من صناعة الكلام واصفا او مجييا او سائلا كان اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين وان لا يخاطب

الخاصة بالفاظ العامة والالعام بالفاظ الخاصة . واليات ماواله الجاحظ في هذا الباب قدبره .

قال وكما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي ان يكون غربيا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوق رطانة السوق . قال وكلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات . فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والمييح والسميح والحفيف والثفيل وكله عربى وبكل قد نكلوا وبكل قد تماردوا وتعابوا فان زعيم زاعم انا لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا الى والبكى والحصر والمنجم والحد والمسهب والمتشردق والمتنبيق والمهماز والنزار والمكثار والهماز ولم ذكروا الهجر والهمذر والهمذان والتخليط ولولوا رجل ناقعة ونلهاعه وفلان بنلهيع في خطبه وقالوا فلان يخطى في جوابه وبحل في كلامه وبناقض في خبره ولو ان هذه الامور لم تكن في بعضهم دون بعض لما سمي البعض دون البعض الآخر بهذه الاسماء وانا اقول انا ليس في الارض كلام هو امتع ولا اضع ولا آتق ولا ألد في الاسماء ولا اشد احتمالا بالاعنول السامية ولا اقق للسان ولا اجود نقوما لبيان من طول استماع حديث الاعراب الصمخاء العقلاء والعلماء البلاء وقد اصاب القوم في عامة ماوصفوا الا انى ازعم ان سخييف الالفاظ مشاكل اسخييف المعانى وقد يحتاج الى السخييف في بعض المواضع وربما امتع باكثر من امتاع الجزل الفاخم كما ان النادرة الباردة جدا قد تكون اطيب من النادرة الحارة جدا وانما الكرب الذى يحتم على القلوب ويأخذ بالانفاس ، النادرة الفائرة التى لاهى حارة ولاهى باردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وانما الثنائى فى الحار جدا والبارد جدا . وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول والله لفلان اثقل من مغن وسط وابغض من ظريف وسط ومتى سمعت حنظلك الله بنادرة

من كلام الاعراب فايك وان تحكمتها الامع اعراها ومخرج الفاظها فانك ان غيرتها بان نلحن في اعراها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وكذلك اداسمت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملاح الحشوة والطعام فايك وان تستعمل فيها الاعراب او ان تتخير لها لفظا حسنا او نجعل لها من فبك مخرجا سرّيا فان ذلك بفسد الامتاع بها ونخرجها من صورها ومن الذي اريدت له ويذهب استطابهم اياها واستملاهم لها انهي ما اردنا نقله من كلام الجاحظ وقد تبين لك منه ان لكل مقام مالا وانا اذا قلنا بوجوب تخير اللفظ . فلسنا نريد ان الخطيب يجب عليه ان يأتى بالكلام الجزل مطلقا بل يجب عليه ان يراعى المقام فنخير له من الالفاظ ما يلائمه وينطبق عليه ورب مقام يكون فيه السخيف جزلا والجزل سحيفا كما هو ظاهر من كلام الجاحظ ادلائنا ان العاية التي يرمى اليها الخطيب انما هي اصابته الهدف ونخاضه الى حبات القلوب والعروق اذا مدحوا خطيبا قالوا اصاب الهدف اي اصاب الحق في الجملة وتقولون قرطس فلان واصاب القرطاس اذا كن اجود اصابه من الاول فان ولوا رعى واصاب الغرّة واصاب عين القرطاس فهو الذي ليس فوقه احد ومن ذلك قولهم فلان يفل المحز ويعطب المنصل ويضع الهناء مواضع الثقب .

المبحث الخامس عشر

ف

صعوبة موقف الخطيب

كل خطيب ذوبيان . وليس كل ذي بيان خطيبا فقد يكون المرء اذا تكلم اعجب الناس بفصاحته وجودة بيانه وبراعة منطقه وهو مع

ذلك لا يستطيع ان يقف موقف الخطيب وكذلك كان ثابت بن عبدالله بن الزبير قال الجاحظ « كان ثابت بن عبدالله بن الزبير من ائيين الناس ولم يكن خطيبا » والذين هم مثل ثابت بن عبدالله كثيرون في كل عصر ومصر وهذا دليل على ان مركب الخطابة صعب لا يبدل الا لمن اوى مع فصاحة اللسان جرأة الجنان ومع براءة المنطق رباطة الجأش ولهذا السبب كان الخطباء اقل من الشعراء في كل زمان ومكان مع ان كلتا صناعتهما تشربان من ماء واحد وليس بينهما فرق كبير وناهيك بما يعرض للخطباء المصاقع احيانا من الرتيج والحصر أثناء الخطبة دليلا على صعوبة موقف الخطيب ولعمري ما صدق العذرة التي اعذر بها روح بن حاتم حين صعد المنبر فلما رأى الناس قد رفعوا رؤوسهم ومنفوا اليه حصر فقال نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسهل الله فتح قفل تيسر . وقد ذكرنا فيما سبق ان من معاييب الخطيب ان يسترضه البحر والارتعاش والرعدة والعرق كما قد يقع لبعض الخطباء احيانا وفي ذلك دليل ايضا على صعوبة موقف الخطيب . قال ابو الحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صعصة عند معاوية فغرق قال معاوية بهرك القول فقال صعصة ان الجياد انصاحة بالماء . وقال الجاحظ قال الكهيت بن زيد وكان خطيبا « ان للخطبة صعدا وهي على ذي اللب ارمى » وقولهم ارمى واربي سواء يقال فلان قد ارمى على المائة واربي .

قال الجاحظ وانما يجترئ على الخطبة الغمر الجاهل الماضي الذي لا يثنيه شيء او المطبوع الخاذق الواثق بغزراته واقداره فالثقة تنفي عن قابله كل خاطر يورث اللجاجة والحنحة والانقطاع والبحر والعرق . فترى ان الجاحظ في كلامه هذا تدجى المجترئ على الخطبة احد اثنين اولهما الغمر الجاهل فهو لجهله بما للخطبة من الصعدا لا يثنيه عنها

شئ ولا يبالي ان يخرج منها محمودا او مذموما وثانيهما المطبوع الحاذق
الوائق باقتداره فهو لثقة باقتداره لا يتهيب الوقوف في موقفها الحرج
وعليه فالقدم على الخطبة لا يخلو عن احدى هاتين المرتبتين .

وقال عبدالله بن زياد وكان خطيبا على لكمة كانت فيه اثم الشئ
الامارة لولا قعقة البرد والتشدق للخطب . وقيل لعبد الملك بن
مروان عجل عليك الشيب يا امير المؤمنين قال وكيف لا يعجل على وانا
اعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة او مرتين يعنى خطبة الجمعة
وبعض ما يعرض من الامور : والله درمن قال

وانا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام بقوله مختلا
واعلم بان من السكوت ابانة ومن التكلم مايكون خبالا

المبحث السادس عشر

ف

ذكر بعض الخطباء

ولنبدا منهم بذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
ف نقول كان الخلفاء الراشدون خطباء قال ابو الحسن كان ابو بكر خطيبا
وكان عمر خطيبا وكان عثمان خطيبا وكان على خطيبا .

فاما ابو بكر رضى الله عنه فهو عتيق بن عثمان يكنى ابا قحافة بن عامر بن
عمرو وهو اول الخلفاء وكان اسمه قبل الاسلام عبد رب الكعبة فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله وقال له صلى الله عليه وسلم انت عتيق
من النار فكان يدعى عتيقا وقيل سمي عتيقا لجماله وكان يملك يوم اسلم
اربعين الف درهم انفقها كلها فى سبيل الله ولما تولى الخلافة اصبح
غاديا الى السوق وعلى رقبته اثواب تجر بها فلقبه عمر وابوعبيدة فقالا

این تريد فالسوق فالاماتصع وقد وایت امرالمسلمين قال فن این اطعم عیالی قال ففرضوا له کل يوم سطر شاة وماکساء فی الرأس والبطن وكان ابوبکر یحباب لاحتی اغنامهم فلما بویع قالت جارية من الحی الآن لا یحلب لنا فقال بلی لاحابئها لکم وارجو ان لا یغیرنی مدخلت فیہ عن خلق کنت فیہ . ولما ولی خطب الناس فحمد الله وائی علیہ ثم قال : اما بعد ایها الناس قد ولیت امرکم ولست بمنیر منکم وان اقواکم عندی الضعیف حتی آخذله بحقه وان اضعفکم عندی القوی حتی آخذ منه ایها الناس اما انا متبع ولست بمنبدع فان احسنت فاعینونی وان زغت فقومونی . وهو الخلیفة الذی ولی الخلافة وابوء حتی ومات ابوء ابو قحافة بعد موته بسنة وقیل سبعة اشهر . ولما اعتذر ابوبکر الصدیق رضی الله عنه فی خلافته فی رجب سنة اثنی عشر دخل مكة ضحوة فاتی منزله وبوء ابو قحافة جالس علی باب داره فقبل له هذا ابنک فنهض قائما وعجل ابوبکر ان ینسخ راحلته فزل عنها وهی فائمة فجعل ابوبکر یقول یا ابت لا تقم ثم الزمه فقبل ابوبکر بین عینی ابیه فاخذ الشیخ ینبکی فرحا بقدومه وجاء من سبع بقدومه من هنک من الصحابة مثل عتاب ابن اسید وسهیل بن عمرو وعکرمة بن ابی جهل والحارث بن هشام فسلموا علیه سلام علیک یا خلیفة رسول الله فجعل ابوبکر عند ماسمع ذکر رسول الله صلی الله علیه وسلم ینبکی وابکی القوم وتجدد علیه الحزن لرسول الله صلی الله علیه وسلم فقال ابو قحافة یا عتیق هؤلاء الملاء فاحسن صحبتهم فقال ابوبکر یا ابت لاحول ولا قوة الا بالله العلی العظیم لقد طوقنی الله امرا عظیما لا قوة لی به ولا ید الا بالله ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه اصحابه فتحامهم ولقیه الناس یعزونه برسول الله وهو ینبکی حتی انتهی الی الیت فاضطجع واستلم وطاف سبعا وركع رکعتین ثم رجع الی منزله فلما كانت صلاة الظهر خرج فطاف بالیت ثم جلس قریبا

من دار الندوة فقال هل من احد يشتكى من ظلامه او يطلب حقا فما انا
احد وانى الناس على والهم خيرا ثم صلى العصر وجلس فردفه الناس
ثم خرج راجدا الى المدينة .

وكان ابوبكر خطيبا ونسابة قال ابن العربى فى المسامرات وروينا
من حديث عمرو بن بحر الجاحظ قال حدثنا سنان بن الحسن التستري
عن اسماعيل بن مهران العسكرى عن ائمة بن عثمان عن عكرمة عن ابن
عباس عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يرض نفسه على القبائل خرج وانا معه وابوبكر وكان
ابوبكر عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عاهم الوفار
والسكينة فقدم ابوبكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن انت قوم
فقالوا من ربيعة قال أمن هامتيا ام من لهازميا قالوا بل من هامتيا
المعظمى قال واى هامتيا قالوا دهل قال اذهل الاكبر ام دهل الاصغر
قالوا بل الاكبر قال اقمكم عوف الذى كان يقال لاجر بوادى عوف
قالوا لا قال اقمكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنهى الاخياء قالوا
لا قال اقمكم جساس بن مرة حامى الذمار ومالك الجار قالوا لا قال
اقمكم المزدلف صاحب الغمام قالوا لا قال نبيوا اخوال الملوك من
كندة قالوا لا قال اقمم اصهبان الملوك من تخم قالوا لا قال فلسم من
ذهل الاكبر اذ اسم من دهل الاصغر . فقال ابيه اعصابى غلام حين
يقول وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على
ناقته يسمع مخاطبته فقال لنا على من سألنا ان نسأله واليى لا تعرفه
او تحمله يا هذا انك سألنا أى مسألة شئت فلم نكتملك فاخبرنا من
انت قال ابوبكر من قريش قال بنو اهل الترف والرياسة فاخبرنى
من أى قريش انت قال من تيم بن مرة قال اقمكم قصى بن كلاب
الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمعا قال ابوبكر لا قال
اقمكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورحال مكة مستنون عجاف

قال ابوبكر لا قال أفتنكم شية الحمد الذى كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء الداجية مطعم الطير قال لا قال أفتن المفيضين بالبأس انت قال لا قال أفتن اهل الرفادة انت قال لا قال أفتن اهل السقاية انت قال لا قال أفتن اهل الحجابة انت قال لا قال اما والله لو سألت لاخبرتك انك لست من اشراف قریش فاجتذب ابوبكر زمام ناقته منه كهية المنضب فقال الاعرابي

صادف درالسيبل درا يدفعه يرفه طورا وطورا يضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على فقلت يا ابابكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقة قال اجل يا اباالحسن مامن طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق انتهى . قال الجاحظ في كتاب البيان ومن اصحاب الاخبار والنسب ابوبكر الصديق رضى الله عنه ثم جبير بن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ثم قتادة وعبدالله بن عبيدالله بن عتبة المسعودي . قال ومر رجل بابي بكر ومعه ثوب فقال أتبيع النوب فقال لا عافاك الله فقال ابوبكر لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله وقال ابراهيم الانصارى (هو ابراهيم ابن محمد المفلوج من ولد ابى زبد القارى) الحلفاء والائمة وامراء المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة واماما قال ولذلك فصل بينهم ابوبكر رضى الله عنه في خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك قال فرفع الناس رؤسهم كل منعجين فقال ابوبكر مالكم ايها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهد الله فيما عنده ورغبه فيما في يدي غيره وانقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الباه لا يستعمل

العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسّى والسراب الخادع جذل
الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه وانصب عمره وضى ظله حاسبه
الله فاشد حسابه واقل عفوه الا ان المقراء هم المرحومون وخير الملوك
من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وانكم اليوم
على خلافة النبوة ومفرق المحجة وسترون بعدى ملكا عضوضا وملكاً
عنودا وامة شعاعا ودما مفاحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة
يعفوها الاثر ويموت لها البئر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن و
الزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة وليكن الابرار بعد التشاور والعصفة
بعد طول التناظر أى بلادكم خرسة ان الله سيفتح عليكم اقصادها كما فتح
عليكم ادناها

واما عمر رضى الله عنه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل وكنيته ابو حفص
واشتهر عمر بالعدل وهو الذى حدث ابنه عبدالرحمن فى الشراب فمات
وكان عمر لا تأخذه فى الحق لومة لائم وكان اذا رأى من انكر منه شياً عامله
بالشدة وربما علاه بالدرة وهى السوط فانه كان لا يفارقه الدرة . وحج
مرة فدخل على نافع بن الحارث يعود فوجده قريب عهد بعرس وفى
بيته ستر من ادم مزين بسيور فآخذه عمر فشقه وقال لم لاتسترون
بيوتكم بهذه المسوح فى اوفى وألين واحمل للغار . ثم مرّ عمر بابى
سفيان بن حرب فرأى احجاراً قد بناها ابوسفيان كالديكان فى وجه داره
يجلس عليها بالغداة فقال عمر لا ارجعن من وجهى هذا حتى تقامه و
ترقبه فلما رجع عمر وجده على حاله فقال ألم اقل لك اقلعه قال انتظرت
ان يأتينا بعض اهل مهنتنا فقال عزمت عليك لتنامه بيدك وتنقله على
عائقك فلم يراجعه وفعل ذلك فقال عمر الحمد لله الذى اعز الاسلام
برجل من عدى يأمر اباسنيان سيد بنى عبد مناف بمكة فيطعمه . وكان
عمر حريصاً على صيانة امور الرعية كثير العاطفة على المقراء يتفقدهم

ويتعاهدهم ويباشر امورهم بنفسه وروى زيد بن اسلم عن ابيه قال خرجت مع عمر الى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت يا امير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا والله ما يرضجون كراعا ولا انهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الطمع فانا ابنة خفاف بن انام النازي وقد شهد ابني الحديبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقف معها عمر ولم يمش وقال مرحبا بنسب قريب ثم انصرف الى بعير كان مربوطا الى الدار فحمل عليه غرارتين ملاءهما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه وقال اقاده فلن يفي هذا حتى يأتيكم الله بخير . وخرج مرة في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما اصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا عجوز عياء متقدمة فقال لها ما بال هذا الرجل يأيلك قالت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة كلكت املك باطلحة لعثرات عمر تتبع . وذكر الجاحظ عن العاشي انه قال كن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعلم الناس بالشعر قال ولكنه لما ابنتى بالحكم بين النجاشي والمجلائي وبين الخطيئة والذرفان كره ان يتعرض للشراء واستشهد رجلا للفرقيين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبائهم فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم وكن الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر منعا للفرقيين وبكون هو قد تخاص بعرضه . اما فلما رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا ظن ان ذلك لجهله بما يعرف غيره . قال ولما انشدوه شعرا لزهير وكن عمر اشعره مقدما وقد قال فيه اشعر العرب الذي يقول ومن ومن يعنى زهير فلما انتهوا من انشادهم الى قوله

وان الحق مقطعه ثلاث يمين اونفار او جلاء

قال عمر كالتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامته اقسامها

وان الحق مقطعه ثلاث يمين اونفار او جلاء

يردد البيت من التعجب والاستحسان . واشدوه قصيدة عبدة بن الطيب
الطويلة التي على اللام فلما بلغ المشد الى قوله

والمرء ساع لا امر ليس يدركه والعيش -ح وانفاق وتأمل

قال عمر متحجبا « والعيش -ح وانفاق وتأمل » يعجبهم من
حسن ما قسم ونصل . واشدوه قصيدة ابى قيس بن الاسات التي
على العين وهو ساكت فلما انتهى المشد الى قوله

الكيس والقوة خير من الانفاق والفهة والمهاع

باعاد عمر البيت وقال

الكيس والقوة خير من الانفاق والفهة والمهاع

وجعل عمر برددا بيت استحسانا وتعجب منه . وقال محمد بن سلام
الجمحي عن بعض اسيائه كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له امر الا
انشد فيه بيت -حمر . ولما رفع اليه ان الخطيئة آذى الناس بهجائه
استحضره وابته واوهمه انه يقطع لسانه فقال له الخطيئة بالله يا امير المؤمنين
الا ما اقلتنى فقد هجوت والله امي وابى وامراتي ونفسي فقال له عمر
مالذي قات في امك قال قات فيها والجواب الاب

واند رأيتك في النساء فسؤنى أما ابوى فساءنى في المجاس

وقابت فيها ايضا

تحي فاجلسى منى بعيدا اراح الله منك العالمينا

اغرب بالا اذا استودعت سرا وكانونا على المنجدثينا

ثم قات في امرأتى

اطوف ما اطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع

ثم نظرت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحت فقات

أبت شفتاي اليوم الا تكلمنا بشر فما ادرى لمن انا قائله
ادى لى وجهها قببح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله
فامر به عمر فسجن فكتب اليه بعد ايام يقول

ماذا تقول لأفراخ بذى مرجح حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
النيت كسبهم فى قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه اقلت اليك مقاليد النہى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها لابل لانفسهم قد كانت الاثر

فامر به فاحضر فاستنوبه وخلق سبيله

ومما هو جدبر بان يؤثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسالته الى
ابى موسى الاشعرى وهى رسالة بدیعة فى بابها تضمن سياسة القضاء وتدير
الحكم فالجناحظ روى هذه الرسالة ابن عينة وابوبكر الهذلى ومسلمة
ابن محارب وروها عن قتادة وروها ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن
عبيد الله بن حميد الهذلى عن ابى المايح بن اسامة ان ابن الخطاب رضى الله
عنه كتب الى ابى موسى الاشعرى :

بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة
فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه . آس بين الناس فى
مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخيف ضعيف
من جورك والبيئة على من ادعى واليمين على من انكر والصالح جائز
بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او احل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته
بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق
قديم ومراجعة الحق خير من التمدى فى الباطل . الفهم . الفهم عند
ما يتجلجج فى صدرك مما لم يباغك فى كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه
وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها
الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا غائبا او بينة امدا

ينهى اليه - قوله حقا . مفعول المدعى . وقوله امدا مفعول اجعل - فان احضر بيته اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك انى للشك واجلى للعمى وابلغ في العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلدا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم اياك انفاق والمضجر والتأذى بالاس والنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر وبحسن بها الذخر فانه من بخاص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزن للناس بما يعلم الله خلافة منه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك . وابدع من هذه الرسالة وصيته التي اوصى بها الحليفة من بعده وهي اعمرى مما يجدر ان يكتب بلذهب الابرز وقد اوردها الـاحظ في « البيان والتبيين » .

واما عثمان رضي الله عنه فهو ابن عمار بن ابي العاص بن امية وكان عنده خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سقط منه في البئر اخذ خاتما من فضة نقش عليه لتصبرن اولتندمن وكان عثمان كثيرا للتلاوة للقرآن وكان يقول انى لا كره ان ياتى على يوم لا انظر فيه الى عهد الله يعنى المصحف وكان عثمان حافظا وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف ف قيل له في ذلك فقال انه مبارك جاء به مبارك وقال يزيد بن عياض لما نقم الناس على عثمان خرج بتوكأ على مروان وهو يقول لك امة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة عيايون طعانون يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ما تكرهون طعام مثل النعام يتبعون اول ناعق لقد تقموا على ما تقموا على عمر ولكن قمهم ووقهم والله انى لا قرب ناصرا واعز نفرا فضل فضل من مالى فالى لا افعل فيه ما شاء . وقتل عثمان في فنة كانت ام الفتن الاسلامية وهو ابن سبع وثمانين سنة ورناد حمدان بن ثابت بقوله

صَحَّوْا بِاسْمِ عَنَانِ السَّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرْآنًا
لَتَسْمَعَنَّ مِنْ رَبِّكَ فِي دِيَارِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عَمَّانَا

وأما على رضي الله عنه فهو ابن أبي طالب بن عبدالمطلب وهو أقرمهم نسبا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم علما وهو ممن اشتهر في القضاء كما اشتهر
زيد بن ثابت في الفرائض وابن عباس في تفسير القرآن فكان كرم الله
وجهه أقضى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهو أيضا أخطب
الحلفاء الراشدين وخطبه أشهر من أن تذكر وهي مجموعة في كتاب نهج
البلاغة. وقيل لعلى بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كم بين السماء والأرض
قال دعوته مستحابة فثابروا كم بين المشرق والمغرب فال مسيرة يوم للشمس
ومن قال غير هذا فقد كذب. وسئل ابن عباس عن الحلفاء الراشدين
فوصفهم وذلك أن عيسى بن طلحة قال قلت لابن عباس أخبرني عن
أبي بكر قال كن خيرا كله على الحدة وسدة الغضب قال قلت أخبرني
عن عمر قال كان كالأثر الحذر قد علم أنه قد نصب له في كل وجه حباله
وكان يعمل لكل يوم بما فيه على غف المساق قال قلت أخبرني عن عثمان
قال كان والله صواما قواما لم يشده نوم عن نكاته قال قلت فصاحبكم
— يعني عيا — قال كن والله مملوأ حلما وعلما غمته سابقته وقرابته
وكان يرى أنه لا يطاب سياً إلا قدر عليه قلت أتم ترويه محدودا قال
أنتم تقولون ذلك .

ومن الخطباء الذين ذكرهم الجاحظ الفضل بن عيسى الرقاشي قال وكان
الفضل من أخطب الناس وكان متكلماً وكان فاضلاً مجيداً وكان يجلس
إليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبي عياش وكثير من
الفقهاء وهو رئيس الفضيلية وإليه ينسبون وخطب إليه ابنته سودة بنت
الفضل سليمان بن طرخان التيمي فولدت له المعتز بن سليمان وكان
سليمان مابينا للفضل في المقالة فلما ماتت سودة شهد الجنازة المعتز وأبوه

فقدما الفضل وكان الفضل لا تركب الا الحمير فقال له عيسى بن حاضر
انك لو تركت الحمير على جميع المراكب فلم ذلك قال لما فيها من المرافق و
المنافع قال قات مثل أى شئ قال لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف
الزمان ثم هى اقلها داء وايسرها دواء واسلم صريعا واكثر تصرفا
واسهل مرتقى واخفض مهوى واقل جمحا وانهر فارها واقل نظيرا
يزعى راكبه وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصدا وقد اسرف فى ثمنه .
قال ونظر يوما الى حمار فراء نحت - الم بن قبيبة فقال قمده نى وبذلة
جبار قال عيسى بن حاضر ذذب الى حمار عزير والى حمار مسبخ الدجل
والى حمار باهم . وكن بقول لواراد ابو سياره عمالة بن اعزلة ان يدفع
بالموسم على فرس عربى او جل مهري لفعول ولكنه رك عيرا
اربعين عاما لانه كان يتاله وقد ضرب به الملى فمالوا اصبح من غير سيار .
والفضل هذا هو الذى يقول فى قصصه - الم الارض فناء من - سق
انهمارك وغرس السجارك وجنى ثمارك فان لم تحبب حوارا احببت اعتبارا
وكن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرافسى خطيبا ايضا غير ان عبد الصمد
كان اغزر من ابيه واعجب وابن واخطب . قال وحدثني ابو جعفر الصوفى
الناص قال تكلم عبد الصمد فى خلق البوضة وفى جميع ساها بلابه
محاسن تامة وكان عبد الصمد يؤثر السجع فى كلامه فقل له لم يؤثر السجع
على المنثور ونلزم نفسك القوافى واقامة الوزن قال ان كلامى لو كنت
لا أمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلا فى عليك ولكنى ارد العائب
والحاضر والراهن والغابر فالحنظ اليه اسرع والآذان اسماعه انشط
وهو احق بالنقيد وبقالة التفات وما تكلمت به العرب من جيد المنثور
اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا
خضاع من الموزون عشره قالوا فقد قيل للذى قال يا رسول الله ارايت من
لا شرب ولا اكل ولا صاح فاستهل أليس مثل ذلك بطل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الجاهلية فقال عبد الصمد لو ان هذا

المتكلم لم يرد الا الافامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ولكنه عسى ان يكون اراد ابطلا لحق فتشادق في كلامه . وكان عم الفضل وهو يزيد ابن ابان الرقاشي خطيبا ايضا وكان يزيد بتكلم في مجلس الحسن وكان زاهدا عابدا وعالما فاضلا وكان خطيبا وقاصا مجيدا . قال الجاحظ وتغنى قوم عند يزيد بن ابان الرقاشي فقال انمى كما تمنيت قالوا تمنه قال ليتنا لم نحقق وليتنا اذ خلقنا لم نص وليتنا اذ عصينا لم تمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد . قال الجاحظ وكان ابوهم خطيبا ايضا وكذلك جددهم قال وكانوا خطباء الاكسرة فلما سبوا وولد لهم الاولاد في بلاد الاسلام وفي جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق فقاموا في اهل هذا اللغة كقامهم في اهل تلك اللغة وفيهم شعر وخطب وما زالوا كذلك حتى اصهر اليهم الغرياء ففسد ذلك العرق ودخله الجور . فالفضل وابنه وعمه وابوه وجده كلهم خطباء . ومن الخطباء زيد بن علي بن الحسين وهو من خطباء بني هاشم وسأله هشام مرة عما جرى بينه وبين خالد بن عبد الله فقال له زيد احلف لك قال واذا حلفت اصدقك فقال زيد اتق الله قال أو ملك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله فقال زيد لا احد فوق ان يوصى بتقوى الله ولا دون ان يوصى بتقوى الله قال هشام بلغنى انك تربد الخلافة ولا تصاح لها لانك ابن امة قال زيد فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن امة واسحاق عليه السلام ابن حرّة فاخرج الله عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعندها قال له هشام قم اذا لان رأى الا حيث تكره وما اخرج من الدار قال ما احب احد الحياة قط الا ذل فقال له سالم مولى هشام لا يسهن هذا الكلام منك احد . وقال محمد بن عمير ان زيدا لما رأى الارض قد طبقت جورا ورأى قبة الاعوان ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة احب المذبات اليه وكان زيد كثيرا ما ينشد

شرّده الخوف وازرى به كذاك من يكره حراجلاد
منخرق الخفين يشدو الوجى تنكبه اطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة والموت حتم فى رقاب العباد

وقد نال ما احب من الشهادة اذ قتله يوسف بن عمر احد عمال
هشام وبعث اليه برأسه مع شبة بن غفال . وقال الفيطرى قيل ابعده الله
ابن الحسن ما تقول فى المراء قال ماعسى ان اقول فى شئ يفسد الصداقة
القديمة ويحتل العقدة الوثيقة وان كان لاقل ما فيه ان يكون دربة للمغالبة
والمغالبة من امتن اسباب الفتنة . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتاه
السائب بن صيفى فقال أتعرفنى يا رسول الله قال كيف لا اعرف شريكى
الذى كان لا يشاربنى ولا يمارينى . قال فتحولت الى زيد بن على فقلت
له الصمت خير ام الكلام فقال اخزى الله المساكنة فما افسدها للبيان
واجلبها للحصر والله للمماراة اسرع فى هدم العى من النار فى يبس
العرفج ومن السيل فى الحدور . قال الجاحظ وقد عرف زيد ان المماراة
مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها اقل ضررا من المساكنة التى
تورث البلدة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث عللا وتولد ادواء ايسرها
الى فالى هذا المعنى ذهب زيد .

ومن الخطباء سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن امية وكان
سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط وكان اسود نحيفا وكان يقال له عكة
العسل وفيه يقول الخطيئة

سعيد فلا يغرك قلة لحمه تتخذ عنه اللحم وهو صليب

وكان اول من خس الابل فى نفس عظم الانف وكان واليا فى الكوفة
وكان فى تديره اضطراب وكانت الامراء تحب الى الرعية بزيادة المنكاييل
اما هو فقمها ولم يزد فيها . وفى ذلك يقول بعض رجاز الكوفة

ياويلتا قد ذهب الوليد وجاءنا مجّوعا سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

وكان ابنه من الخطباء ايضا وهو عمرو بن سعيد وكان يسمى الاشدق يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه في الكلام وقال آخرون بل كان اقيم مائل الذقن ولذلك قال له عبيد بن زياد حين اهوى بيده الى عبدالله بن معاوية (يدك عنه يا لعليم الشيطان ويا عاصي الرحمن) وهذا خلاف ما بدل عليه قول الشاعر فيه

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا ابالك اشدق

وكان معاوية قد دعا به مرة في غلمة من قریش فلما استنطقه قال ان اول كل مركب صعب وان مع اليوم غدا . وقال له معاوية الى من اوصى بك ابوك قال ان ابى قد اوصى الى ولم يوصني قال وبأى تنى اوصاك قال بان لا يفقد اخوانه منه الا نخضه فقال معاوية عند ذلك ان ابن سعيد هذا هو الاشدق . فهذا ايضا بدل على انه انما سمى الاشدق لمكان التشادق . ثم كان بعد عمرو بن سعيد سعيد بن عمرو بن سعيد خطيبا ايضا كابيه وجده وكان ناسبا ايضا وكان اعظم الناس كبرا وقيل له عند الموت ان المريض ليستريح الى الانين والى ان يصف ما به الى الطيب فقال

اجاليد من ريب المنون فلا ترى على هالك عيننا الدهر تدمع

ودخل على عبد الملك مع خطباء قریش واشرافهم فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس فتبسم عبد الملك وقال لقد رجوت عثرته ولقد احسن حتى خفت عثرته . فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب .

ومن الخطباء سهيل بن عمرو الاعلم احبني حسل بن معيص وكان

يكنى ابا يزيد وكان عظيم الفدر شريف النفس صحيح الاسلام وكان قبل اسلامه يخطب ضد النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قال للنبي يا رسول الله انزع ثيابه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيأ ابدأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل فيمثل الله بي وان كنت نبيا دعه يا عمر فعسى ان يقوم مقامنا محمد . ثم انه اسلم فلما حاج اهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يمت وقد علمتم اني اكثركم قبا في بر وجارية في بحر فاقروا اميركم وانا ضامن ان لم يتم الامر ان اردوها عليكم . فسكن الناس . ووقف مرة على باب عمر بن الخطاب هو وعتبة بن حصن والاقرع بن حابس وجاعة من غيرهم فخرج الآذن فقال ابن بلال أين صهيب ابن سليمان ابن عمار ولم يذكر غير هؤلاء فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل لم تتمعروا وجوهكم دعوا ودعينا فاسرعوا وابطأنا ولئن حسدوهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر .

ومن الخطباء من خراعة بن مازن ابو عمرو وابو سفيان ابنا العلماء ابن عمار بن العريان فاما ابو عمرو فكان اعلم الناس بامور العرب مع صحة سماعه وصدق لسانه . قال الجاحظ وحدثني الاصمعي قال جاست الى ابى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامي قال وقال مرة لقد كثرت هذا المحدث وحسن حتى هممت ان امر فياننا بروايته يعني - عمر جرير والفرزدق واشباههما . قال الجاحظ وحدثني ابو عبيدة قال كان ابو عمرو اعلم الناس بالعرب والعربية وبالفراسة والشعر وايام الناس قال وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه وكان عامة اخباره عن اعراب قد ادركوها الجاهلية وفي ابى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

مازلت افتح ابوابا واغلقها حتى آتيت ابا عمرو بن عمار

قال الجاحظ فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب اخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذى لا يشك فى خطابته وبلاغته وقد قال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس وفى ابى عمرو بن العلاء يقول مكى بن سواده

الجامع العلم تنسأ ويحفظه والصادق القول ان انداده كذبوا وكذلك اخوه ابو سفيان بن العلاء كان ناسبا خطيبا وكلاهما كناه اسماءهما .

ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومي من قريش وهو ذو الشفة قال الشاعر

فما كان قائلهم دغفل ولا الحيقطان ولا ذو الشفة

واجتمع يوما بجحذب التميمي وهو خطيب ايضا فقال له والله ما انت من حنظلة الاكرمين ولا سعد الاكثرين ولا عمرو الاسدين وما فى تميم خير بعد هؤلاء فقال له جحذب والله انك لمن قريش وما انت من بيتها ولا ثبوتها ولا من شوارها وخلاقها ولا من اهل سداتها وسفاتها .

واما دغفل المذكور فى قول الشاعر المتقدم فهو دغفل بن يزيد ابن حنظلة الخطيب الناسب واما الحيقطان فهو عبد اسود وكان خطيبا لا يجارى . وقال عبد الملك الحالد بن سلمة المخزومي من اخطب الناس قال انا قال ثم من قال سيد جزام يعنى روح بن زنباع قال ثم من قال اخيفش ثقيف يعنى الحجاج قال ثم من قال امير المؤمنين قال ويحك جعلتنى رابع اربعة قال نعم هو ماسمعت . وذكر الجاحظ دغفلا وقال لم يدرك الناس مثله لسانا وعلمنا وحفظا قال ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمرى من بنى هلال وقال سهاك العكلى

فسائل دغفلا واخا هلال ونخارا ينبؤك اليقينا

فاخو هلال هو زيد بن الكيس وبنو هلال حى من النمر بن قاسط .
ومن الخطباء عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمى العائشى وكان ابوه
زيد خطيباً ايضاً ودخل عبيد الله على ابيه وهو يكيد بنفسه فقال له ابوه
ألا اوصى بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الاوصية الميت
فالحي هو الميت . واخذ هذا المعنى بعض الشعراء فنظمه فقال

اذا ما الحى عاش بظل ميت فذاك الميت حى وهو ميت

وكان عبيد الله افك الناس واخطب الناس وهو الذى اتى باب ملك
ابن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره وقد كان نابه امر فلم يرسل اليه
قبل الناس فاشرف عليه ملك وقال مهلا يا ابا مطر فوالله ان فى كنانتى
سهما اثابه اوثق منى بك قال وانك لتعدنى فى كنانتك فوالله لو ان قت
فيها لطلنها ولو قعدت فيها لخرقتها فقال ملك مهلا اكثر الله فى العشرة
مثلك فال لقد سألت الله شظطا .

ودخل عبيد الله على عبد الملك بن مروان بعد ان اتاه برأس مصعب
ابن الزبير ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل فاراد ان يقعد معه على
سريره فقال له عبد الملك ما بال الناس يزعمون انك لاتشبه اباك قال والله
لانا اشته باني من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن ان
شئت انبأتك بمن لايشبه اياه قال ومن ذاك قال من لم يولد لتمام ولم تنضجه
الارحام ولم يشبه الاخوان والاعمام قال ومن ذاك قال ابن عمى سويد
ابن منجوف قال عبد الملك أو كذلك انت ياسويد قال نعم فلما
خرجا من عنده اقبل عليه سويد فقال وريت بك زنادى
والله مايسرنى انك تقصته حرفا واحدا مما قلت له وان لى حمرا نتم قال
وانا والله مايسرنى بمملك اليوم عنى سودا نتم . قلت لله در عبيد الله كيف
قدر ان يرد على عبد الملك قوله فى وجهه موارد من حيث لم يدعه يشعر

بذلك والله درّسويد حيث علم ما اراد عبيد الله فصدقه. وقال اشيم بن شقيق ابن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما انت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان قال اسكت فانت يوم القيامة اخطب من صمصمة بن صوحان .

ومن الخطباء الذين لا يضاھون ولا يجارون عبد الله بن عباس قالوا خطبنا بمكة وعثمان رضى الله عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمتا وذكره حسان بن ثابت فقال

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلا
كفى وتسفى ما فى النفوس ولم يدع لذي اربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت الى العليا بغير مشقة فملت ذراها لا دنيا ولا وعلا

قال الحسن كان عبد الله بن عباس اول من عرف بالبصرة سعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا وكان والله متجائسلا غربا وكان يسمى البحر وحبر قريش وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم فقّهه فى الدين وعلمه التأويل . ونظر اليه عمر وهو يتكلم فقال شنشنة اعرفها من اخزم اراد عمر رضى الله عنه انى اعرف فيك مشابة لابيك فى رأبه وعقله . ويقال انه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس ويقال ايضا انه لم يربنو اب ابعد قبورا من بنيه عبد الله بن عباس بالطائف والضل بالشام وعبيد الله بالمدينة وقم بمسرقند وسعد بافريقية .

ومن خطباء بنى هاشم ايضا داود بن على وكان يكنى ابا سليمان وكان انطق الناس واجودهم ارتجالا واقتضا بالقول ويقال انه لم يتقدم فى تحيير خطبة قط قال الجاحظ وله كلام كثير معروف محفوظ فمن ذلك خطبته على اهل مكة (شكرا شكرا اما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لبنى فيكم قصرا اظن عدو الله ان لم نظفر به ان ارخى له فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الامر فى نصابه وطلعت

الشمس من مطلعها واخذ القوس باريها وعاد النبل الى التزعة ورجع الامر الى مستقره في اهل بيت نبيكم اهل بيت الرأفة والرحمة) قات وفي كلامه هذا القليل تكرار كثير كترى .

ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان سليمان بن جعفر والى مكة قال المكي سمعت مشايخنا من اهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم امير منذ عقلوا الكلام الا وسليمان ايمن منه قاعدا واخطب منه قائما . ومن الخطباء خالد بن صفوان الاهتمى وكذلك ابوه صفوان بن عبد الله ابن الاهتم كان خطيبا رئيسا . قال الجاحظ زعموا جيذا انه اى خالد بن صفوان كان عند ابي العباس امير المؤمنين وكان من سماره واهل المنزلة عند ففخر عليه ناس من باحارث بن كعب واكثروا في القول فقال ابو العباس لم لا تنكلم يا خالد فقال اخوال امير المؤمنين وعصبته قال فانهم اعمام امير المؤمنين وعصبته قال خالد وما نسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودافع جلد وسائس قرد وراكب عرد دل عليهم هدهد وغرقهم فارة وملكهم امرأة . قال الجاحظ فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام فانه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد ولئن كن هذا سنيا حضره حين حرّك وبسط فماله نظير في الدنيا قال فتأمل هذا الكلام فانك ستجده ما يحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليماني بلسان سحبان وائل حولا كريتا ثم صلت بهذه الفقرة ما قامت له قائمة . قال وكان خالد اذكر الناس لاول كلامه واحفظهم اكل شئ سلف من منطقته وقال مكي بن سواده في صفته له

علمم بتنزيل الكلام ملقن ذكور لما سدا اول اول
يبد قريع القوم في كل محفل وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عاين اجدلا

وكان خالد يقارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة

والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية. قال الجاحظ وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسخون في هذه الصناعة وهو يدل على ان خالدا يحسن ان يسب سبب الاشراف وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة انك لجميل يا اباصفوان قال وكيف تقولين هذا. وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقل له ما عمود الجمال فقال الطول ولست بطويل ورداؤه البياض ولست ببيض وبرنسه سواد الشعر وانا اتمط ولكن قولى انك للمليح ظريف قال الجاحظ وللكلام خالد كتاب يدور في ايدي الوراقين .

ومن الخطباء حنظلة بن ضرار وهو من خطباء بني ضبة وقد ادرك الاسلام وطال عمره حتى ادرك يوم الجمل وقيل له ما بقى منك قال اذكر القديم وانسى الحديث وارق بالليل وانام وسط القوم . ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم مشجور بن غيلان بن خرشة وكان مقدما في المنطق وهو الذي كتب الى الحجاج انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فما ترى ان آخذ قال ارى ان تأخذ الذهب فذهب عنه هاربا ثم قتله بعد . وذكره القلاخ بن حزن المنقري فقال

امثال مشجور قليل ومثله ففى الصدق ان صفقته كل مصفق
وما كنت اشربه بدنيا عريضة ولا بن خال بين غرب ومشرق
اذا قال بذالقائلين مقالة ويأخذ من اكفائه بالحق

ومن خطباء الحوارج قطرى بن الفجاءة احد بني كنانة بن حرقوص وكنيته ابو نعام في الحرب واما في السلم فكنيته ابو محمد . وقد ذكر الجاحظ غيره ممن كانت لهم كنيستان في الحرب والسلم منهم عامر ابن الطفيل كانت كنيته في الحرب ابا عقيل ويكنى في السلم بابى على . ومنهم يزيد بن مزيد يكنى في السلم بابى خالد وفي الحرب بابى الزبير . وهو اعنى قطرى بن الفجاءة احد رؤساء الازارقة وكان خطيبا فارسا خرج

في زمن مصعب بن الزبير وبقي عشرين سنة وكان آخر من بعث اليه سفيان بن البرد الكلبى وقتله سورة بن الجبر الدارمى من بنى ابان بن دارم وله خطبة طويلة مشهورة سئذ كرها في الخطب .

ومن خطباء الخوارج ابن صديقة وهو القاسم بن عبدالرحمن بن صديقة وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل ومن علماء الخوارج شليل بن غرزة الضبى صاحب الغريب وكان راوية خطيبا وشاعرا ناسبا وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا .

ومن علماء الخوارج وخطبائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس احد بنى عمرو بن محلم بن ذهل بن شيبان ويكنى اباسعيد وقد ملك العراق وسار في خمسين الفا وبايعه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن هاشم بن عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم

ألم تر ان الله اظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل

ومن خطبائهم وعلمائهم نصر بن ملحان وكان الضحاك ولآد الصلاة بالناس والقضاء بينهم . ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم واهل الفقه منهم عمران بن حطان ويكنى اباشهاب وقد ذكرناه فيما سبق في الخطباء الشعراء . ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم المقطل قاضى عسكرا لازارقة ايام قطرى .

ومن الخطباء معبد بن طوق الغبرى دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فاحسن فلما جلس تلهيع في كلامه فقال له ما اطرفك قائما واموقك فاعدا قال انى اذا قت جددت واذا قعدت هزلت فقال له ما احسن ما خرجت منها .

ومن خطباء العرب المشهورين الذين يضرب بهم المثل في الفصاحة والبيان سحبان وائل وله خطبة مشهورة تسمى الشوهاة وقيل ذلك لها من حسنها فان الشوهاة كما تطلق على القبيحة تطلق على الجميلة ايضا فهي

من الاضداد في اللغة . وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم يانشد شاعره ولم يخطب خطيب . قال الجاحظ والعرب قد ذكروا من خطب العرب المجوز وهي خطبة لآل رقة ومتى تكلموا فلا بد لهم منها او من بعضها والمذراء وهي خطبة قيس بن خارجة لانه كان ابا عذرها والشوهاء وهي خطبة سحبان وائل .

ومن خطباء العرب ابو عمار الطائي كان خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادته وكان النعمان احمر العينين احمر الجلد احمر الشعر وكان شديد العريضة قتالا للندماء . فهاء ابو قردودة الطائي عن منادته فلما قتله رثاه فقال

انى نهيت ابن عمار وقتل له لا نأمن احمر العينين والشره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا ومنطقا مثل وتى الخيمة الجبره

ومن خطباء غطفان في الجاهلية خويلد بن عمرو العشيرة بن جابر بن عتميل ابن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة . وهو خطيب يوم امجاد المشهور من ايام العرب .

ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤى وكان يخطب على العرب عامة ويحضر كنانة خاصة على البر فلهما مات اكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرج بموت كعب بن لؤى الى عام الفيل

ومن الخطباء مرة بن فهم التليد من خطباء عمان وهو الخطيب الذي اوفده المهلب الى الحجاج . ومن خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن شقي الحميري وكان اخطب العرب . ومنهم ثم من الانصار قيس بن الشماس . ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس وهو خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ومن خطباء الانصار سعد بن الربيع وهو الذي اعترضت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من انت فقالت ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع .

ومن الخطباء الأبناء العلماء الذين جروا من الخطابة على اعراق قديمة شيب بن شيب بن عبدالله بن عبدالله بن الاهم ويقال انهم لم يروا قط خطيبا بلديا الا وهو في اول تكلفه لتلك المقامات كان مستقلا مستصفا ايام رياضته كلها الى ان بتوقع وتستجيب له المعاني ويتمكن من الالفاظ الا شيب ابن شيب فانه ابتداء بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما يبلغه الخطباء المصاقع بكثيرة وقال الراجز .

اذا غدت سعد على شيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مظالم الشمس الى مغيبها عجت من كثرتها وطيبها

قال الجاحظ وحدثني صالح بن خافان قال قال شيب بن شيب الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وانا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه وحظ جودة الترافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من جظ سائر اليت ثم قال شيب فان ابنيت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في احكام البلوغ في شرف التجويد واياك ان تعدل بالسلامة شيئا فان قليلا كافيا خير من كثير غير ناف . وقال شيب بن شيب اطاب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس . وقال شيب للمهدى يوما اراك الله في بنيت ما ارى اباك فيك واراى الله بنيت فيك ما اراك في ابيك . وقال المهدي . كان شيب بن شيب يسايرني في طريق خراسان فيتقدمني بصدر دابته وقال لي يذبحي لمن ساير خليفة ان يكون بالموضع الذي اذا اراد الخليفة ان يسأله عن شيء لا يلتفت اليه ويكون من ناحية ان التفت لم تستقبله الشمس قال فينا نحن كذلك اذا اتينا الى مخاضة فاقحمت دابتي ولم يقف واتبعني فلا ثيابي ماء وطينا قال فقات يا ابا معمر ليس هذا في الكتاب .

ومن الخطباء المصاقع جعفر بن يحيى بن خالد قال ثمامة بن اشرس كان جعفر بن يحيى انطق الناس قد جمع الهدو والتمهل والجزالة والحلاوة وافهاما يغنيه عن الاعداء ولو كان في الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عنها كما استغنى عن الاعداء. وقال مرة ما رأيت احدا كان لا يتحس ولا يتوقف ولا يتاجلج ولا يتنحج ولا يرتقب لئلا قد استدعاه من بعد ولا يلمس التخاص الى معنى قد تعصى عليه طلبه اشد اقتدارا ولا اقل تكلفا من جعفر بن يحيى. واشهر جعفر بحسن التوقيع. قال الجاحظ قال جعفر بن سعيد رضيع ايوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى فقال قد قرأت لام جعفر توقيعات في حواشي الكتب واسفلها فوجدتها اجود اختصارا واجمع للمعاني وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه ان استطعت ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا.

ومن الخطباء ثمامة بن اشرس الذي وصف لنا جعفر بن يحيى المتقدم ذكره آنفا بما وصف. قال الجاحظ وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة ابن اشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع اهل عصره قال وما علمت انه كان في زمانه قروى ولا بلدى كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولان سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلده وكن لفظه في وزن اشارته ومعناه في طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك. وقال بعض الكتاب معاني ثمامة الظاهرة في الفاظه الواضحة في مخارج كلامه كما وصف الحزيمي شعر نفسه في مديح ابي داف حيث يقول

له كلام فيك معقولة ازاء القلوب كركب وقوف

ومن الخطباء زرعة بن ضمرة بن بنى هلال بن عامر وهو الذي

قيل له لولا غلوّ فيه ما كان كلامه الا الذهب . وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية يا اهل الشام هذا خلى فأتوني بخال مثله . وكان ابنه النعمان بن زرعة بن ضمرة من اخطب الناس وهو احد من كان تخاص من الحجاج من قتل ابن الاشعث بالكلام اللطيف .

ومن الخطباء الحجاج بن يوسف الثقفي وهو الذي ولى العراق عشرين سنة ومات في ايام الوليد بن عبدالك بواسط المدينة التي بناها هو في العراق وكانت وفاته في رمضان سنة خمس وتسعين وله ثلاث وخمسون سنة . وقال ابن العربي في المسامرات ان عدد من قتلهم الحجاج صبوا مائة وعشرون الفا قال ومات في حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة . وكان الحجاج صغير العينين اخفض مسلق الاجفان ولذلك قال ابن ارقم النيرى وكان الحجاج جعله على بعض شرط ابان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال

طليق الله لم يميني عليه ابوداود وابن ابى كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذرا للصعود

لان طير الماء لا يكون ابدا الا منسلق الاجفان . قال ابو الحسن المدائني قال الحجاج لانس بن مالك حين دخل عليه في شأن ابنه عبدالله وكان خرج مع ابن الاشعث لا مرحبا بك ولا اهلا لعنة الله عليك من شيخ جوّال في الفتنة مرة مع ابى تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لا قلعتك قلع الصمغة ولا عصبتك عصب السلمة ولا جردتك تجريد الضب . قال انس من يعنى الامير ابقا الله قال اياك اعنى اصم الله صدك . قال فكتب انس بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن المستغرة بعجم الزبيب والله لقد هممت ان اركلك برجلي ركلة تهوى بها في نار جهنم قاتلك الله اخفض العينين اصك الرجلين اسود الجاعرتين والسلام . وقوله اصك الرجلين تصك احداها الاخرى عند المشى

وقول الحجاج لانس لاعصبتك عصب السلمة معناه لاشدنّ يدك
ورجليك لان الرعاة تعصب اغصان الاشجار بعضها الى بعض وتخطئها
بالعصى حتى يسقط الورق فترعاء الماشية. قال ابو الحسن وغيره اراد الحجاج
الحج فخطب الناس فقال ايها الناس انى اريد الحج وقد استخلفت عليكم
ابنى محمدا هذا واوصيته بخلاف ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى ان يقبل من محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم ألا وانى قد اوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا
يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون مقالة ما يمنعكم من اظهارها الا
مخافى ألا وانكم ستقولون بعدى لا احسن الله له الصحابة ألا وانى معجل
لكم الاجابة لا احسن الله الخلافة عليكم ثم نزل . وكان يقول فى خطبه
ايها الناس ان الكف عن محارم الله ايسر من الصبر على عذاب الله . وخطب
الحجاج يوما فقال ان الله امرنا بطاب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا
فليتنا كفينا مؤنة الآخرة وامرنا بطاب الدنيا . فسمعها الحسن البصرى
فقال هذه ضالة المؤمن خرجت من قاب المنافق . ولقى الحجاج اعرابيا
فقال له ما بيدك قال عصاى اركرها اصلاتى واعدتها لعدائى واسوق بها
دابى واقوى بها على سفرى واعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى
واثب بها على النهر وتؤمننى العثر والقي عليها كسائى فيقبنى الحر ويحبنى
القر وتدنى الى ما بعد عنى وهى تحمل سفرتى وعلاقة اداوتى اقرع بها
الابواب والقي بها عقور الكلاب وتنوب عن الرمح فى الطعان وعن السيف
عند منازلة الاقران ورنتها عن ابى وساورتها ابنى من بعدى واهش بها
على غنى ولى فيها ما رب اخرى . فهت الحجاج وانصرف .

قال الهيثم بن عدى قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك
بعدهما استخلف وكان حاقدا على الحجاج يبغضه اشدا بغض فامر الوفود
بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه فقال بعضهم ان عدو الله الحجاج كان زبابا

تقوّر بن قفور لانسب له في العرب فقال سليمان أي ستم هذا ان عدو الله الحجاج كتب الى . انما انت نقطة من مداد فان رأيت في ما رأى ابوك واخوك كنت لك كما كنت لهما والا فانا الحجاج وانت النقطة فان شئت محوتك وان شئت اثبتك فالعنوه لعنه الله . فاقبل الناس ياعنونه فقام ابن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري فقال يا امير المؤمنين انا نخبرك عن عدو الله بعلم فال هات قال كان عدو الله يترين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار فاذا نزل عمل عمل الفراعنة واكذب في حديثه من الدجال فقال سليمان لرجاء بن حيوة هذا وايبك الشتم لا ما تأتى به السفلة وقوله زباب هو كسحاب فأر عظيم اصم تضرب العرب به المثل في السرقة فتقول اسرق من زبابة والنفور الشمس المصب .

وخطب الوليد بن عبد الملك فقال ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة جلدة ما بين عيني ألا وانا جلدة وجهي كله . وقوله ان الحجاج ما بين عيني كناية عن انه عزيز مكرم عنده قال الشاعر

يديروني عن سالم واديرهم وجلدة بين العين والائف سالم

وخطب الوليد ايضا بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن ابي مسلم مكانه فقال انما مثلي ومثل يزيد بن ابي مسلم بعد الحجاج كن سقط منه درهم فاصاب دينار .

وقال ابو الحسن وغيره قالوا دخل يزيد بن ابي مسلم على سليمان ابن عبد الملك وكان يزيد دميما فلما رآه سايان قال على رجل اجرّك رسنك وسلطك على المسامين لعنة الله فقال يا امير المؤمنين انك رأيتني والامر عني مدبر ولورأيتني والامر على مقبل استعظمت من امرى ما استصغرت قال فقال سايان أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد قتل يزيد يا امير المؤمنين يحى الحجاج يوم القيامة بين ابيك واخيك فابضا على يمين ابيك وشمال اخيك فضمه من النار حيث شئت .

وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال مارأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا . وقال رؤية بن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج . وقال ابو الحسن قال الحجاج لعلم ولده علم ولدى السباحة قبل الكتابة فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم . قال وضرب الحجاج اعناق اسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال والله لئن كنا اسأنا في الذنب فما احسنت في العفو فقال الحجاج آف لهذه الجيف أما كان فيها احد يحسن مثل هذا . وامسك عن القتل . قال ابو الحسن اول من اجرى في البحر السفن المقيرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجأحي وكان اول من عمل المحامل ايضا الحجاج وفيه قال بعض الرجاز

اول عبد عمل المحاملا اخزاء ربي عاجلا وآجلا

ولمات الحجاج خرجت عجوز من داره وهي تقول

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

ومن الخطباء واصل بن عطاء وكنيته ابو حذيفة وهو الذي زعم ان جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قيل له وعلى ايضا فانشد

وما شرّ الثلاثة ام عمرو بصاحبك الذي لاتصبحينا

وكان واصل بن عطاء ذا لغة في حرف الراء وكان قبيح اللغة شنيعها ولا يستطيع النطق بها البتة ولكنه مع لغته في حرف الراء كان من الفصاحة بالمكان الاعلى لانه كان ذا قدرة عظيمة على البيان بحيث

كان يتجنب الرأى اذا خطب ويسقطها من كلامه اذا تكلم فجاءت خطبه خالية من شناعة تلك اللثغة . قال الجاحظ ومن اجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام ابو حذيفة اسقاط الرأى من كلامه واخراجها من حروف منطقته فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأتى لسره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما امل حتى صار لغرابته مثالا ولظرافته معلما قال ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له فالولست اعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت محاجة الخصوم ومثاقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان .

واجتمع بعض الخطباء مرة عند عبدالله بن عبدالعزيز والى العراق وهم خالد بن صفوان وشيب بن شبة والفضل بن عيسى وكان واصل ابن عطاء معهم فخطبوا وارتجل هو خطبة نزع منها الرأى فكانت مع ذلك اطول من خطبهم . وكان بشار بن برد كثير المدح لو اصل بن عطاء قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة وكان قد فضله على خالد ابن صفوان وشيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبدالله ابن عمر بن عبدالعزيز فقال

ابا حذيفة قد اوتيت معجبة من خطبة بدعت من غير تقدير
وان قولاً يروق الخالدين معا لمسكت مخرس عن كل تحجير

وقال بشار ايضا

تكلف القول والاقوام قد حفلوا وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقسام مرتجلا تغلى بداهته كمرجل القين لما حفف باللهب
وجانب الرأى لم يشعر به احد قبل التصحيف والاغراق فى الطالب

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة ايضا

فهذا بديه لا كتجوير قائل اذا ما اراد القول زوده شهرا

وقال صفوان الانصارى فى ذلك ايضا

فسائل بعبد الله في يوم حفله وذاك مقام لا يشاهده وغد
 اقام شسيبا وابن صفوان قبله بقول خطيب لا يجانبه القصد
 وقام ابن عيسى ثم قفاه واصل فابذع قولاً ماله في الورى ند
 فما نقصته الرء اذ كان قادرا على تركها واللفظ مطرد سرد
 ففضل عبد الله خطبة واصل وضوعف في قسم الصلات له الشكد
 فاقع كل القوم شكر حباهم وقلل ذلك الضعف في عينه الزهد

والشكد هو العطاء . وبالجمله فقد كان واصل بن عطاء في تركه الرء في خطبه
 ونحاورانه آية من آيات البلاغة ولما حجا بشار واصلا وصوب رأى ابليس
 في تقديم النار على الطين قال واصل عند ذلك « أما لهذا الملحد الاعمى
 المشنف المكتنى بابى معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من
 سجايا الغالية لبعث اليه من يبيع بطنه على مضجعه ويقتله في جوف
 منزله وفي يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الاعقيل اوسدوسى » فانظر
 كيف تجنب الرء في كلامه هذا مع ماترى من سلامته وقلة ظهور
 التكلف فيه حتى انك لا تظن به التكلف مع امتناعه من حرف كثير
 الدوران في الكلام ألا ترى انه حين لم يستطع ان يقول بشار وابن برد
 قال المكتنى بابى معاذ وحين لم يستطع ان يقول المرعث جعل المشنف
 يدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سجية من سجايا
 الغالية ولم يذكر المنصورية ولا المغيرة لمكان الرء وقال لبعث اليه من يبيع
 بطنه ولم يقل لارسلت اليه من يبقر بطنه وقال على مضجعه ولم يقل فراشه .
 وكان واصل اذا اراد ان يذكر البر قال القمح والحنطة والقمح لغة شامية
 والحنطة لغة كوفية هذا وهو يعلم ان لغة من قال بر افصح من لغة من قال
 قح او حنطة قال قطرب انشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل

ويجعل البر قمحا في تصرفه وجانب الرء حتى احتال للشعر
 ولم يطق مطرا والقول يعجله فعاد بالغيب اشفاقا من المطر

قال وسألت عثمان البري كيف كان واصل يصنع في العدد فكيف كان يصنع بعشرة وعشرين واربعين وكيف كان يصنع في القمر والبدر ويوم الإربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى الآخرة ورجب فقال مالى فيه قول الاما قال صفوان:

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق

وكان واصل طويل العنق جدا وكان يلقب بالغزال قال بشار :

مالى اشايغ غزالا له عنق كنتنق الدوان ولى وان مثلا

ومما يدل على انه كان غزالا قول اسحاق بن سويد العدوى

برئت من الحوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب

والكنى احب بكل قلبى واعلم ان ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا به ارجو غدا حسن المآب

وقال قوم ان واصل بن عطاء لم يكن غزالا وانما قيل له الغزال

لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى ابى عبدالله مولى قطن الهلالى

فقول الناس واصل الغزال هو كقولهم لخالد الفقيه خالد الحذاء مع انه

لم يكن حذاء بل كان ايضا يكثر الجلوس في سوق الحذائين وكقولهم

هشام الدستوانى لان الاباضية كانت تبعث اليه من صداقتها بثياب دستوانية

فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحجاب فاجابوه الى قول

الاباضية وكانوا قبل ذلك لا يزجون الهجاء فاجابوه الى التسوية وزوجوا

هيئا . وكما قالوا ابو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء وكما قالوا

ابو ملك السدى لانه كان يبيع الحمر في سدة المسجد . فهذا هو احتجاج

الذين زعموا ان واصل لم يكن غزالا ومهما كان فان واصل كان يلقب

بالغزال سواء كان غزالا او لم يكن .

قد ذكرنا لك جملة من الخطباء الاولين ممن ذكرهم الجاحظ في كتاب

اليان ولكن لاعلى هذا الترتيب الذى رتبناه ولقد ضربنا صفحا عن ذكر كثيرين منهم اذ ليس من غرضنا استقصاء الخطباء هنا وانما اثبتنا منهم هذه الجملة ليكونوا نموذجا للقارىء وقدوة لمن حاول هذه الصنعة ونزع فى منطق هذه النزعة ولنذكر الآن بعض من عرفنا من خطباء عصرنا نقول .
العرب اليوم اشبه ببني اسرائيل وهم فى التيه وشرح هذه القضية يطول سوى اننا نقول ان فساد اللسان وجور الزمان واختلال السليقة وضعف السجيا وخور العزائم واختلاف الاهواء لمن الاسباب التى انزلت العرب اليوم فى الدرك الاسفل من المحشر البشرى بعد ان صبغهم بصبغة اعجمية وجعلتهم عباديد متفرقين شذر مذر . وان ثأنت ان تجمع هذه الاسباب كلها تحت سبب عام فقل الجهل الطويل العريض الضيق الوثيق الذى هو على حد قول الشاعر

وما انت ممن يجهل العام وحده بل الجهل ايضا بل وجهلك بالجهل
اذا كان الامر كذلك فلا عجب ان نجد خطباء العربية قليلين فى هذا العصر مدودين بالاصابع لاننا اليوم فى زمان نشد فيه

اتى الزمان بنوه فى شايته فسرهم واتيناه على الهرم
فمن خطباء العصر الذين عرفناهم عبدالعزير التونسى وقد اجتمعت به فى قسطنطينية قبل بضع سنين فرأيت من اين الناس وكنت معجبا بحسن بيانه جدا وهو يتكلم بالعربية الفصحى دون تلجاج ولا تلثم وقد اخبرونى عنه انه يخطب بالفرنساوية كما يخطب بالعربية .

ومنه الشيخ عبدالعزيز شاوئش العالم التحرير والكاتب الشهير صاحب مجلة الهداية وله كتب ورسائل مشهورة وله تفسير للقرآن بديع جدا وهو من زعماء الحزب الوطنى فى مصر وقد اثار بكتابه حربا عوانا على الانكليز بمصر وكان قدناؤه فى مجرى السياسة خديوى مصر عباس حلمى باشا الذى كان من ديدنه الخنوع للانكليز وضايقة الحكومة

المصرية حتى اضطر ان يارح القاهرة وقدم القسطنطينية فانضم الى حزب الاتحاديين فيها وهناك تعرفت به وكثيرا مازرته وجاست اليه ثم ان الحكومة المصرية طلبته مرة من حكومة القسطنطينية ولم يكن الحكم اذ ذاك للاتحاديين بل كان رئيس الوزارة يومئذ احمد مختار باشا الملقب بالغازي فاسلمه احمد مختار باشا الى الحكومة المصرية فشق ذلك على الاتحاديين واستاؤا منه وابتأسوا به وقد قلت في ذلك قصيدة اخاطبه بها قلت فيها بعد ذكر ماجرى

ان العلى همست اليك بسرها	ولقد فهمت كلامها المهموسا
فهضت بين المسلمين تلهم	وتجد منهم مخلصا ودريسا
فرماك منهم حاسدوك بتهمة	ملاؤا القضاء بزورها تدليسا
ان يبغضوك فان حبك لم يزل	في قاب كل موحد مغروسا
والشمس تشهد ان فضلك مثلها	يحيى النفوس ويقتل الحديدسا
يالىت شعري أى كاس مرة	لك اءهقوا مذجر عوك البوسا
وبأى سائلة رموك مكبلا	وبأى سجن غادروك حيسا
قدبت من جزعى عليك منجما	في الليل عنك اسائل البرجيسا
ان يسجنوك فان ذكر مطلق	يحنى الثناء ويقطف التقديسا
او يوحشوك بقعر سجنك مردا	فالحق عندك قد افام انيسا
ولئن لقيت اذى فكى من مصلح	لقى الاذاة منجعا متعوسا

ومن خطباء العصر الامير شكيب ارسلان وهو عربى قح من ذوى الفصاحة واللسن يتكلم بكلام الاعراب الاقحاح وقد برز في صنائع المنظوم والمنثور وهو في كليهما ينسج ينسج البداوة على منوال الحضارة فترى في شعره وكتابانه جزالة البدوى ورقة الحضرى وهل هو في كتابته ابرغ منه في شعره او الامر بالعكس هذا ما اتردد في الجواب عليه الآن لان الذى قرأته من رسائله واشعاره في الصحف السيارة قليل جدا بالنسبة الى ما فاتنى ولم اره والحكيم البات متوقف على استقرار ذلك

واستقصائه . والامير شكيب من بيت رفيع العمد من امراء لبنان ويقال ان نسبه ينتهى الى النعمان بن المنذر .

ومن الخطباء الشيخ صالح الشريف التونسي وهو من العلماء الفضلاء وقد شهدت له خطبة خطبها مرة في قسطنطينية تكلم فيها على العصية القومية بكلام احسن فيه الا انى رأيت يتشادق في القول .

ومن الخطباء الشيخ اسعد شقير وهو ذوبداهة فاق فيها على خطباء عصره فقرأ اذا خطب مشجايقتضب الكلام اقتضابا الا انه من جهة الفاظه لا يعد من المبرزين في الفصاحة وهو مع ذلك مكثار يكاد في كثرة كلامه ينجح الى الثثرة وقد شهدت بعض خطبه في قسطنطينية وهو يحسن الخطابة بالتركية ايضا كالعربية .

ومن الخطباء محمد كرد على صاحب مجلة المقتبس وهو عالم فاضل ذو بحث وتقيب في العام لايجاريه فيه احد وهو من مشاهير الكتاب في هذا العصر بارع جدا في ترسله الا انك تحس في كتابته بشئ من الجفاف ووحدانية السياق وذلك مقتفز في جنب ماترى فيها من السهولة وحسن الاتساق ومحمد كرد على اول صديق صادقته على الغياب اذ كنت اكتبه وهو بمصر حيث كان ينشر مجلته المقتبس ثم انه عاد الى وطنه دمشق الشام واخذ ينشر فيها مجلته مع صحيفة يومية باسم المقتبس ايضا وقد اجتمعت به هناك لما عجت على دمشق في طريقى الى قسطنطينية وهو اليوم في دمشق .

ومن الخطباء الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار بمصر وهو عالم فاضل ومعدود في الكتاب الا ان اسلوبه في الكتابة هزيل معروق لايسمن ولا يغنى من جوع وهو الى العام اقرب منه الى الفصاحة واللسن وقد شهدت خطبة له خطبها في قسطنطينية فرأيت فيه من معائب الخطيب انه ضئيل الصوت ولضوالة صوته كان يتشادق في كلامه تشادقا باردا جدا وفيه ايضا لغة خفيفة في حرف الراء وفيه لكنة عامية ايضا فانه

اذا قال كذا قال كذا واذا قال ذلك قال ذلك واذا قال نظرت قال
نظرت الا انه مكثار جدا لا يعجز عن الاطالة وربما خرج عن اول
الكلام الى ما لا يقتضيه المقام ولولا ذلك لحدث منه الاطالة .

ومن الخطباء الشيخ مصطفى الغلابي صاحب مجلة التبراس ببيروت
وهو معدود في العلماء والكتاب والشعراء ايضا الا انه لا يجيد في شعره
كما يجيد في كتابته وله كتب ورسائل غير قليلة وقد اجتمعت به في بيروت الا
اني لم اشهد شيئا من خطبه وقد اخبرت عنه انه مفود يسيل غربا في الخطابة .
ومن خطباء العصر فيلكس فارس صاحب جريدة الاتحاد ببيروت
وهو ذو قدم راسخة في الادب وهو خطيب وكاتب وشاعر لكنه في كتابته
اعلى منه في شعره وهو ايضا يجيد الترجمة من الفرنسية الى العربية وقد اجتمعت
به مرة في حاب فقرأ لي شعرا منشورا للشاعر الفرنسي فيكتور هوغو وكان
قد ترجمه الى العربية فاحسن فيه كل الاحسان وهو معدود في الخطباء المبرزين .
ومن الخطباء المبرزين في الخطابة الاديب الفاضل اسكندر العازار
وقد اجتمعت به في بيروت وهو من الخطباء المشهورين في تلك الديار
وهو اذا خطب يشوب كلامه ببعض الظرف والوزل وهو شاعر ايضا .
ومن خطباء تلك الديار الياس طراد العالم الفاضل وكذلك ابراهيم
الحوراني وانطون شجير وامين الريحاني وبشارة الخوري صاحب جريدة
البرق وداود مجاعص صاحب مجلة الحرية وغيرهم ممن لا اذكر اسماءهم
الآن وهؤلاء كلهم من لبنان وكلهم خطباء وفيهم الشاعر المجيد كبشارة
الخوري والفيلسوف الحكيم كامين الريحاني والكاتب البارع كداود مجاعص .

المبحث السابع عشر

ف

ذكر بعض الخطب المشهورة

خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما الدنيا امل مخترم واجل

متقضى وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكَرَّ في امره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه بئس الجار الغنى يأخذ بما لا يعطيك من نفسه فان ابيت لم يعذرک . اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد في قوتكم فهو ابعد من السرف واصح للبدن واقوى على العبادة وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

وله ايضا من خطبة في الحث على السعى قال :

لا يقعد احدكم عن طاب الرزق وهو بقول اللهم ارزقني وقد علم ان السماء لم تمطر ذهابا ولا فضة والله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض فقد قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانثشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

(خطبة لمعاوية بن ابى سفيان)

قال الجاحظ رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها الیقطرى وغيره قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من الباب قال نفر من قریش يتباينون بموتك فقال ويحك ولم قال لا ادرى قال فوالله مالهم بعدى الا الذى يسؤهم واذن للناس فدخلوا فحمد الله واثى عليه واوجز ثم قال يا ايها الناس انا قد اصبحتنا في دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيئا ويزاد فيه الظالم عتوا لانتفع بما علمناه ولا نسأل عما جهلناه ولا نتخوف قارعة حتى تحلبنا فاناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنع من الفساد في الارض الامهانة نفسه وكلال حده ونفيض وفره ومنهم المصات لسيفه الحجاب بخيله ورجله والمعان بشره قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان تراها لنفسك ثمنا ولمالك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فقد طامن من شخصه

وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ
سترا لله ذريعة للمعصية ومنهم من اقمده عن طلب الملك ضؤولة نفسه
وانقطاع سببه فقصرت به الحال عن امله فتحلى باسم القناعة وتزين
بلباس الزهاد وليس من ذلك في مصراع ولا مغدى وبقي رجال غرض
ابصارهم ذكر المرجع وارق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر
وخائب منقمع وساكت مكعوم وداع مخاض وموجع ثكلان قد
اخلمتهم التقية وشماهم الذلة فهم بحر اجاج انواهم صنامة وقلوبهم
قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقبروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قتلوا فلتكن
الدنيا في اعينكم اصغر من حائلة القرظة وقراضة الجلمين واتعظوا
بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فارضوها ذميمة فانها قد
رفضت من كان اسغف بها منكم .

فال الجاحظ وفي هذه الخطبة ضروب من العجب منها ان هذا الكلام
لا يشبه السبب الذى من اجله دعاهم معاوية ومنها ان هذا المذهب في تصنيف
الناس وفي الاخبار عنهم وعمامهم عليه من القهر والاذلال من التقية والخوف
اشبه بكلام على وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد معاوية
في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب
العباد قال وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه انهى قلت اما انا فلا
ارى في هذه الخطبة شأ من العجب ذلك لان معاوية انما دعاهم واذن
لهم بالدخول لما سمع من انهم شامتون به يتباشرون بموته فاراد ان
يكلمهم بكلام الواعظ المقرع والزاجر الموبخ فسلك في كلامه مسلك
الزهاد جريا على ما اقتضاه المقام وفي كل جملة من كلامه هذا تعريض بهم
كما هو ظاهر واما ان هذا الكلام اشبه بكلام على وبمعانيه فقد قلنا ان
معاوية تعمد في هذا المقام التشبه بعلى وامثاله توصلا الى تبكيت حاسديه
الشامتين دون ان يظهر لهم جزعا من الموت ولعمري ان هذا مما يدل
على دهاء معاوية وحسن تجلده .

(خطبة لعبدالله بن الاهتم عند عمر بن عبدالعزيز)

قال الجاحظ قال ابو الحسن عن يحيى بن سعيد عن ابن خربوز البكري عن خالد بن صفوان قال دخل عبدالله بن الاهتم على عمر بن عبدالعزيز مع العامة فلم يفجأ عمر الا وهو مائل بين يديه يتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله خالق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم والناس يومئذ في المنازل والرأى مختلفون والعرب بشرتك المنازل اهل الوبر واهل المدر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاعة عيشتها ميتهم في النار وحيهم اعمى مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه فلبا اراد الله ان ينشر فيهم رحمة بعث اليهم رسولا منهم عزيز عليه ما عتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فلم يمنهم ذلك ان جرحوه في جسمه ولقبوه في اسمه ومعه كتاب من الله لا يرحل الا بامره ولا ينزل الا باذنه واضطروه الى بطن غار فلما امر بالغرامة اصفر لامر الله لونه فافلج الله حجته واعلى كلمته واطهر دعوته ففارق الدنيا نقياً تقيا صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام بعده ابو بكر رضى الله عنه فسلك سنته واخذ بسبيله وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الذي كان قابلا منهم فانقضى السيوف من اعماها واوقد النيران من شعلها ثم ركب باهل الحق اهل الباطل فلم يبرج يفصل اوصالهم ويسقى الارض دماءهم حتى ادخلهم في الذي خرجوا عنه وقرروهم بالذي نفروا منه وقد كان اصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه وحبشية ترضع ولداله فرأى ذلك غصة عند موته في حلقه فادى ذلك الى الخليفة من بعده وبرى اليهم منه وفارق الدنيا تقيا تقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقصّر الامصار وخلط الشدة باللين فحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه واعد للامور اقرانها وللحرب آئنها فلما اصابه قن المغيرة بن شعبة امر

ابن عباس ليسأل الناس هل يثبتون قاتله فلما قيل له قن المغيرة استهل
 بحمد الله ان لا يكون اصابه ذو حق في النفي فيستحل دمه بما استحل
 من حقه وقد كان اصاب من مال الله بضعا وثمانين الفا فكسر بها رباعه
 وكره بها كفالة اهله وولده فادى ذلك الى الخليفة من بعده وفارق الدنيا
 تقيا نقياً على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما ثم انا والله ما اجتمعنا
 بعدها الا على طلع ثم انك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها والقبتك ثديها
 فلما وليتها القيتها حيث القاها الله فالحمد لله الذي جلابك حوبتها وكشف
 بك كرتها امض ولا تلتفت فانه لا يغنى من الحق شيئاً اقول قولى هذا
 واستغفر الله لكم وللمؤمنين والمؤمنات .

قال ولما ان قال ثم انا والله ما اجتمعنا بعدها الا على طلع سكت
 الناس كلهم الا هشاما فانه قال كذبت .

(خطبة لعمر بن عبد العزيز)

قال ابو الحسن حدثنا المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن ابيه
 قال خطب عمر بن عبد العزيز بمخاضرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات
 رحمه الله . فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا
 ولم تتركوا سدى وان لكم معادا يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج
 من رحمة الله التي وسعت كل شئ وحرم الجنة التي عرضها السموات
 والارض واعلموا ان الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا
 بباقي الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقيون
 كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم اتم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا
 الى الله قد قضى نحبه وبلغ اجله ثم تغيثونه في صدع من الارض ثم تدعونه
 غير موسد ولا ممد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب
 غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وايما الله انى لا قول لكم هذه المقالة وما
 اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما عندى فاستغفر الله لى ولكم

وماتبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا الاسد دناها ولا احد منكم الا وددت ان يده مع يدي ورحمى الذين يلوتنى حتى يستوى عيشنا وعيشكم وايم الله ان لو اردت غير هذا من عيش او غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولاً علماً باسبابه لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن مصيئته . ثم بكى فلتقى دموع عينيه بطرف ردائه ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله .

(خطبة ابى حمزة الخارجى)

قال المحاضر دخل ابو حمزة الخارجى مكة وهو احد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار فصعد منبرها متوكئاً على قوس له عربية فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وامره ووحيه انزل الله له كتاباً بين له فيه ما ياتى وما يتقى فلم يكن فى تلك من دينه ولا شبهة فى امره ، ثم قبضه الله اليه وقد علم المسلمين معالم دينهم وولى ابا بكر صلاتهم فولاه المسلمون امر دنياهم حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم امر دينهم فقاتل اهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فساد بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفى وفرض الاعطية وجمع الناس فى شهر رمضان وجلد فى الحر ثمانين وغزا العدو فى بلادهم ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عثمان بن عفان فسارست سنين بسيرة صاحبه وكان دونهما ثم سار فى الست الاواخر بما احبط به الاوائل ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى على بن ابى طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى معاوية بن ابى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عبداً لله خولا ومال الله دولا ودينه دغلاً ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية يزيد الحور وزيد القروذ وزيد الفهود الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه . ثم اقتسمهم

خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر بن عبدالعزيز اعرض عنه ولم يذكره . ثم قال
ثمولى يزيد بن عبد الملك الفاسق في بطنه المأبون في فرجه الذى لم يؤنس منه
رشد وقد قال الله تعالى في اموال اليتامى فان آسنم منهم رستاد فادفعوا اليهم
اموالهم فامرامة محمد اعظم . يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة
قومت بالف دينار قد ضربت فيها الابشار وهتكت فيها الاستار واخذت
من غير حلها . حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا اخذ
الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت الى احدهما فقال الا طير . نعم
فطر الى لعنة الله وحريق ناره واليم عذابه . واما بنو امية ففرقة ضلالة
وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى وبقولون على الغضب
ويحكمون بالشفاعة ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير
اهلها وقدين الله اهلها فجعلهم ثمانية اصناف فقال انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
سبيل الله وابن السبيل فاقبل صنف ناسع ليس منها فاخذكلها تلکم الفرقة
الحاكمة بغير ما انزل الله . واما هذه الشيع فشيعة ظهرت بكتساب الله
واعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين ولا بعلم
نافذ في القرآن يتقمون المعصية على اهلها ويعملون اذا ولوا بها يصرون
على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها جفاة عن القرآن اتباع كهان يؤملون
الدول في بعث الموتى ويعتقدون الرجعة الى الدنيا قلدوا دينهم رجلا لا ينظر
لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون . ثم اقبل على الحجاز فقال يا اهل الحجاز
أتعبروننى باصحابى وتزعمون انهم شباب وهل كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا شبابا اما والله انى لعالم بتابعكم فيما يضركم في معادكم
ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق ايديكم . شباب والله
مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقياة الى الباطل ارجلهم
انضاء عبادة واطلاح سهر فظار الله اليهم في جوف الليل منحنية
اصلاهم على اجزاء القرآن كلما مر احدهم بذكر آية من ذكر

الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بآية من ذكر النار شفق شهقة كأن زفير جهنم بين اذنيه موصول كلالهم بكلالهم كلال النهار بكلال النهار قد اكلت الارض ركبهم وايديهم وانوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله حتى اذاروا السهام قد فوقت والرماح قد اشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فاسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء فكم من عين في مناقير طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل بالسجود لله . ثم قال أوه أوه أوه ثم بكى ثم نزل .

(خطبة قطري بن الفجاءة)

وهي تتضمن وصف الدنيا ووصف سكان القبور وصفا بديعا قال الجاحظ صعد قطري بن الفجاءة منبر الازارقة وهو احد بنى مازن ابن عمرو بن تميم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني احذرکم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لاتدوم حبرتها ولا تؤمن فحمتها غرارة ضرارة خوانة غدارة وحائلة زائلة وناقدة بأثدة اكلة غوالة بذلة نقالة لاتعدو اذا هي تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا عنها ان تكون كما قال الله تعالى كء انزلناه من السماء فاخطلت به نبات الارض فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا . مع ان امرأ لم يكن منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبدة ولم يلق من سرأها بطنا الامنحتة من ضرأها ظهرا ولم تطله غيبة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرى اذا اصبحت له منتصرة ان تسمى له خاذلة متسكرة وان جانب منها اعذوب واحلولى امرأ عليه جانب واوبى وان ات امرأ من غضارتها ورفاهيتها نعماء رهقته من نوائبها تبعاء ولم يمس امرؤ منها في جناح امن الا اصبح منها على قوادم

خوف غرارة غرور ما فيها فان ما عليها لا خير في شيء من زادها الا التقوى
من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيّل حزنه
ويبكي عينيه كم وائق بها قد اجفته وذى طمأنينة اليها قد صرعه
وذى اختيال فيها قد خدعته وكمن ذى ابهة بها قد صيرته حقيرا وذى
نخوة قد ردت به ذليلا وكمن ذى تاج قد كفته للدين والضم سلطانها دول
وغيتها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سلام واسبابها
رمام قطافها سلع حياها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم
ومنيعها بعرض اعتضام . ما يكها مسلوب وعزبها مغلوب وسليمها
منكوب وجامعها مخروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلاع
والوقوف بين يدي الحكم العدل ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويحزى
الذين احسنوا بالحسن . ألتسم فى مساكن من كان اطول منكم اعمارا
واوضح منكم آثار واعد عديدا واكثف جنودا واعتد عتودا تعبدوا
للدنيا أى تعبد وآثروها أى اثار وظعنوا عنها بالكرد والصغار فهل
يلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية او اغتت عنهم فيما قد اهلكتهم
يخطب بل قد ارهقتهم بالقوادح وضعفتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب
وقد رأيتم تنكروها لمن زان لها واخذ اليها حين ظعنوا عنها لفراق
الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء واحلهم الا الضنك وانور
لهم الا الظلمة او اعقبهم الا الندامة أفهذه تؤثرون ام على هذه تحرصون
ام عليها تطمثون يقول الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . فبئس الدار لمن اقام
فيها فاعلموا واتم تعلمون انكم تاركوها لابد فانما هي كما وصفها الله باللعب
واللهو وقد قال الله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتخذون مصانع لعلكم
تخلدون . وذكر الذين قالوا من اشد منا قوة ثم قال حملوا الى قبورهم

فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يحيون داعيا ولا يمتعون ضيما ان اخصبوا لم يفرحوا وان اقحطوا لم يفتنوا جمع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متادون لا يزورون ولا يزادون حلماء قد ذهبت اضعافهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى جمعهم ولا يرجى دفعهم وكما قال الله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم وكنا نحن الوارثين استبدلوا بظهور الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجأؤوها كما فارقوها حفاة عراة فرادى غيران ظعنوا باعمالهم الى الحياة الدائمة والى حلود الابد يقول الله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقنا واياكم اداء حقه .

(خطبة لعبيد الله بن زياد بالبصرة)

قال الجاحظ صعد عبيد الله بن زياد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية وحيث بلغه ان سلمة بن ذؤيب اليربوعي قد جمع الجموع يريد خلعه فقال يا اهل البصرة انسبوني فوالله ما مهاجر ابى الا اليكم وما مولدى الا فيكم وما انا الا رجل منكم والله لقد وليكم ابى وما مقاتلتكم الا اربعون الفا فبلغ بها ثمانين الفا وما ذريتكم الا ثمانون الفا وقد بلغ بها عشرين ومائة الف واتم اوسع الناس بلادا واكثرهم جنودا وابعد مقادا واغنى الناس عن الناس انظروا رجلا تولونه امركم يكف سفهاءكم ويحجب لكم فيثكم ويقسمه فيما بينكم فانما انا رجل منكم . قال فلما ابوا غيره قال انى اخاف ان يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بامرى .

(خطبة يزيد بن الوليد)

هو الخليفة الثانى عشر من بنى امية وهو الذى ولد فى الكعبة ولم

يولد في الكعبة خليفة غيره وامه من بنات يزدجرد بن كسرى وهو الذى قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما رأى منه المنكر. قال الجاحظ ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إياها الناس والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وما أبى أطرى نفسى وإنى لظلوم لها ولقد خسرت أن لم يرحمنى ربى ولكنى خرجت غضبا لله ودينه وداعيا إلى الله وسنة نبيه لما هدمت معالم الهدى وأطفئ نور التقوى وظهور الجبار الغيظ المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب وأنه لابن عمى في النسب وكفى في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته أن لا يكلنى إلى نفسى ودوت إلى ذلك من أجابنى من أهل ولا بى حتى أراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى إياها الناس أن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطي زوجا ولا ولدا ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منه وإن لا أجركم في ثغوركم فافتكم وافتن أهليكم ولا أغلق بابى دونكم فإكل قوبيكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم واقطع نسلهم ولكم عندى أعطيتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم فإذا أنا وافيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن الموازنة والمكافئة وإن أنا لم أوف ليكم فليكن أن تخلعوني إلا أن تستيوني فإن أنا تبت قبلتم منى وإن عرقتكم أحدا يقوم مقامى ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تباعوه فانا أول من بايعه ودخل في طاعته إياها الناس لإطاعة المخلوق في معصية الخالق أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم -

قال الجاحظ فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصابه قال وكانوا يقرؤون في الكتب يامبذرا للكنوز ياسجادا بالاسحار كانت ولايتك رحمة وعليهم حجة اخذك فصلبك .

(خطبة الحجاج بعد دبر الجاهل)

قال الجاحظ خطب الحجاج اهل العراق بعد دبر الجاهل فقال يا اهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والسماع والاطراف والاعضاء والشفاف ثم افضى الى الافحاح والاصباح ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرح فحشاكم نفاقا ونفاقا واسعركم خلافا اخذتموه دليلا تابعونه وقائدا تطعونونه ومؤامرا استشيرونه فكيف تنفعكم تجربة وتعظكم وقعه او يحجركم اسلام او ينفعكم بيان ألستم اصحابي بالاهواز حيث رمم المنكر وسعين بالغدر واستجمعت الكفر وظنتم ان الله يخذل دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفي وانتم تتسللون لو اذا ونهزمون سراعا ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وننازعكم ونخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذوايتم كالابل الشوارد الى اوطانها التوازع الى اعطائها لايسأل المرء عن اخيه ولايلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصمكم الرماح . ثم يوم دبر الجاهل وما يوم دبر الجاهل به كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الحليل عن خيله يا اهل العراق الكفريات بعد الفجرات والغدرات بعد الحفريات والزوة بعد النزوات ان بعثكم الى اغوركم غلتم وختم وان اتمتم ارجتم وان ختمتم نافتكم لاندكرون حسنة ولا تشكرون نعمة هل استخفكم ناكث او استغواكم غاوا او استنفركم عاص او استنصركم ظالم او استعصمكم خالع الا تبعتموه وآوتموه ونصرتهم ورحبتموه . يا اهل العراق هل شعب ساعب او نعب ناعب او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره . يا اهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع . ثم التفت الى اهل الشام

فقال يا اهل الشام انما انا لكم كالظلم الراح عن فراخه ينق عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب وبحرسها من الذباب يا اهل الشام اتهم الجنة والرداء وانهم العدة والحذاء .

(خطبة اخرى للحجاج ايضا)

قال ابن العربي في محاضرة الابرار ومن خطب الحجاج ماروينا من حديث ابن ابي الدنيا قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا خلف بن تميم انبا نا ابورجاء الهروى عن ابي بكر الهذلى قال رأيت الحجاج بخطب على المنبر فسمعتة يقول ايها الناس انكم غدا موقوفون بين يدي الله عز وجل ومسؤولون فلينق الله امرؤ ولينظر ما يعد لذلك الموقوف فانه موقف بخسر فيه المبطون ونذهل فيه العقول ويرجع الامر فيه الى الله انتجزي كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب بادروا آجالكم باعمالكم قبل ان تحترموا دون آمالكم قال ثم بكى واخشب وهو على المنبر فرأيت دموعه تنحدر على لحيته . قلت ولا عجب من الحجاج ان يأمر الناس بالنقوى وهو على المنبر وبدكرهم بيوم الحساب لان من عادة الامراء في ذلك الزمان ان يتكلموا كهذا الكلام اذا صعدوا المنابر فالحجاج انما امر بالنقوى وهو على المنبر جريا على عادتهم في خطبهم وقد ذكرنا لك فيما سبق ما قاله ابن ابي بردة سليمان بن عبد الملك من ان الحجاج كان يصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار فاذا نزل عمل عمل الفراعنة . وانما العجب كل العجب منه انه يبكي حتى تنحدر دموعه على لحيته فان قلنا انه في قوله كاذب فماذا نقول في بكائه ودموعه . هذا لعمري في الفعل عجب .

(خطبة اخرى لابي حمزة الخارجي المتقدم ذكره)

يؤرخ فيها اهل المدينة

قال اوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بسنته وصلة الرحم وتعظيم

ما صغرت الجبابة من حق الله وتصغير ما عظموا من الباطل وامانة
 ما حيوا من الجور واحياء ما ماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى
 العباد فى طاعته فلا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق . ندعو الى سنة الله
 والقسم بالسوية والعدل فى الرعية اتنا والله ما خرجنا بطرا ولا لهوا
 ولا لدولة نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا ان الارض
 قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثرا الادعاء فى الدين وعمل بالهوى
 وعطلت الاحكام وقتل القائم بالقسط وعنف القائل بالحق سمعنا مناديا
 ينادى الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعى الله واقبلنا من قبائل
 شتى قليلين مستضعفين فى الارض فانا والله وايدنا بنصره فاصبحنا
 بنعمته اخوانا وعلى الدين اعوانا . يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم
 شر آخر انكم اطعمتم قراءكم ووقفهائكم فاختانوكم بتأويل الجاهلين وانحال
 المبطلين حتى اصبحتهم عن الحق ناكين امواتا غير احياء وماتشعرون .
 يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين انبعوهم باحسان
 ما اصح اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة
 بالدين والبصائر الناقدة والقلوب الواعية واتم اهل الضلالة والجهالة
 استعبدنكم الدنيا فاذلتكم والامانى فاضلتكم ففتح الله لكم باب الدين
 فافسدتموه واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتهم وسراع الى الفتنة بطاء عن
 السنة عمى عن البرهان صم عن العرفان عيىد المطمع حافىء الجزع نعم
 ما ورتكم آباؤكم لو حفظتموه وبش ما تورثون ابناءكم ان تمسكوا به نصر الله
 آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل كان عدد آبائكم قليلا طيبا وعددكم
 كثير خيىث اتبعتم الهوى فارداكم واللهم فاسهاكم تزجركم مواظب الدين
 فلا تزدجرون وتعبركم فلا تعبرون سألناكم عن ولايتكم هؤلاء فلتم
 والله ما فيهم عادل اخذوا المال من غير حله فوضعوه فى غير محله وجاروا
 فى الحكم فحكموا بغير ما ازل الله واستأثروا ببيتنا فجعلوه دولة بين
 الاغنياء منهم فقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا

في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله فقلتم لا تقوى على ذلك ووددنا انا اصبنا من يكفيننا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راع علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه فحشنا فقابلنا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فوالله لو قاتم لا نعرف الذي نقول ولا نعلمه لكان اعذر مع انه لا عذر للجاهل ولكن ابى الله الا ان ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة .

(خطبة لواصل بن عطاء وهي خلو من الرأ كما ترى)

قال الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خاق ولم يخلقه على مثال سبق بل انشاء ابتداء وعدله اصطفا فاحسن كل شئ خلقه وتم مشيئته واوضح حكمته فدل على الوهية فسيحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لسلطانه ووسع كل شئ فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم واشهد ان لا اله الا الله وحده الها تقدرت اسماءه وعظمت آلاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه الاوهام ولا تحيط به العقول ولا الافهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون واشهد شهادة حق وقول صدق باخلاص نية وصحة طوية ان محمد بن عبدالله عبده ونيه وخالسته وصفيه ابتغى الى خلقه بالينة والهدى ودين الحق فبلغ مألوكيته ونصح لامته وجاهد فيه سبيل الله لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصدده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى اتاه اليقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد افضل وازكى واتم وانمى واجل واعلى صلاة صلاحها على صفوة انبيائه وخالصة ملائكته واضاعف ذلك انه

حميد مجيد اوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله والعمل بطاعته والنجاسة لمعصيته واحضكم على ما يدينكم به ويزانكم لديه فان تقوى الله افضل زاد واحسن عاقبة فى معاد ولا يائسكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفوانس لذاتها وشهوات آمالها فانها مناع قليل ومدة الى حين وكل شئ منها زول فكم عابتنكم من اعاجيبها وكم نصبت لكم من حائلها واهلكت من جنح البها واعتمد عليها اذ اقهم حلوا ومرجت لهم سما ابن الملوك الذين بنوا المدائن وسيدوا المصانع واوثقوا الابواب وكاثفوا الحجاب واعدوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا السلاسل قضهم بمحملها وطعنهم بكلكلها وعظفهم باسياها وعاضهم من السمة ضيقا ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء فسكنوا للاجود واكلمهم الدود واصبحوا لا تشاهد الا مساكنهم ولا نجد الا معالمهم ولا نحس منهم ولا نسمع لهم ناسا فيزدوا عافا فاذ الله فن افضل الزاد العوى واتقوا الله يا اولى الالباب لعلكم تفاجون .

المبحث الثامن عشر

(فى بيان المنهج الذى يجب على من زاول الخطابة ان منهجه)
قد رابنا ان نختتم هذه الرسالة بما ذكره الجاحظ من كلام لسر بن المعتز فى الخطابة والمنهج الذى انهجه اياها فنقول
فالجاحظ مر بسر بن المعتز بابراهيم بن جامة بن مخزوم السكونى الخطيب وهو يعلم فتياهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف ليستفيد او يكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صنجا واطووا عنه كشجا ثم دفع اليهم صحيفة من تحييره وتثنية وكان اول ذلك الكلام : خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابها اياك فان قليل تلك الساعة كرم جوهرها واشرف حسبا واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ واجاب لكل عين وغرّة من لفظ

شريف ومعنى بديع واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك
الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وباتتكلف والمعاودة ومهما اخطأك
لم يخطئك ان يكون متبولا قصدا وخفيضا على اللسان سهلا وكما خرج
من بذوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعبد
والتعبد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن اراء معنى كريما
فليتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما
ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من اجله الى ان تكون
اسوأ حالا منك قبل ان تلتبس اظهارها وتزهن نفسك بملاستهما وقضاء
حقهما . وكن في ثلاث منازل فان الاولى الثلاث ان يكون لفظك رسفا
عذا وفحما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا اما عند
الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت
والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس ينضع
بان يكون من معاني العامة وانما مدار السرف على الصواب واحرار
المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المتقال . وكذلك اللفظ
العامى والخاصى فان امكنت ان تبلغ من بيان اسانك وبلاغة قائلك
ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على ان تفهم العامة معاني الخاصة
وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلغف عن الدهاء ولا تحفو عن الاكفاء
فانت البالغ النام . فان كانت المنزلة الاولى لا توانيك ولا تعتربك ولا
تسبح لك عند اول نظرك فى اول تكلتك وتجد اللفظة لم تقع موقعها
ولم تصر الى قرارها والى حقها من اماكنها المنسومة لها والمقابلة لمحل
فى مركزها وفى انصائها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة فى مكانها نافرة
من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والزول فى غير اوطانها
فانك اذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور
لم يعبك بترك ذلك احد وان انت تكلفت ذلك ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا
تحكما لسانك بصيرا بما عليك او مالك عليك من انت اقل عيبا منه ورأى

من هو دونك انه فوقك فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة وتمضى عليك بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك او سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لانعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة او جريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشيء لا يحن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فهكذا هذا .

قال بئر فلما قرئت على ابراهيم قال لي انا احوج الى هذا من هؤلاء الفتيان .

ومما يحسن ان يذكر في هذا الباب ما نقله الجاحظ ايضا عن اسحاق ابن حسان بن فوهة من انه قال لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة فقال البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات الين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير املال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . قال الجاحظ كأنه يقول فرق بين صدر خطبة التكاح وبين صدر خطبة العبد وخطبة الصلح وخطبة

المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزؤه فإنه لاخير
في كلام لا يدل على معنائه ولا يشير الى مغزائه الى العمود الذى اليه
قصدت والغرض الذى اليه نزعتم . فال فقيل له اى لابن المقفع فان مل
المستمع الاطالة التى ذكرت انها حق ذلك الموقف فقال اذا اعطيت كل
مقام حقه وقت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف
حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يرضيهما
شئٌ واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئٌ لا تناله
وقد كان يقال « رضا الناس شئٌ لا ينال » انتهى .

هذا ما اردنا جمعه وتلفيقه فى هذه الرسالة ونسأل الله تعالى ان

ينفع به طالبيه انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وقد

وقع الفراغ من تسويدها لاجدى وعشرين

ليلة خلت من شعبان سنة خمس

وثلاثين وثلاثمائة

بعد الالف

م م

م

فهرس مفصل للكتاب

صحيفة

٥ المبحث الاول في البيان وفيه ذكر اصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ . وفيه تعريف الخطبة والفرق بينها وبين الوصية . وفيه بيان ان العرب كانوا احوج الالم الى الخطابة وذلك من دواعى ارتقاؤهم فيها .

٧ المبحث الثانى فى قوام الخطابة وآدابها وفيه بيان ان من لم يكن له طبع فى الخطابة لا يكون خطيبا كما ان من لم يكن له طبع فى الشعر لا يكون شاعرا .

١١ المبحث الثالث فى محاسن الخطباء .

من محاسن الخطيب جهارة الصوت .

ومنها ان يكون سديد العارضة .

ومنها ان يكون كثير الريق .

ومنها ان يكون ذاهية حسن السمى والبزة جميل الصورة جليل

المنظر خلاقا اسهل بن هارون فى ذلك .

١٤ المبحث الرابع فى معايب الخطيب .

فمن معايب الخطيب ان يكون لجلاجا .

ومنها ان يكون متمما .

ومنها ان يكون فافا .

ومنها ان يكون الثغ وفيه بيان اللثغة العامة الموجودة اليوم .

ومنها ان يكون ذا حبسة .

ومنها ان يكون ذا حكمة

ومنها ان يكون الف .

ومنها ان يكون هذارما .

ومنها ستقوط بعض اسنانه دون الجميع :

ومنها ان يكون اسنخى .

ومنها ان يعتز به البهر والارتعاش والبرق فى اثناء الخطبة .

٥٢ المبحث الخامس فى حاجة الخطيب الى الاساره . وفيه بيان لبعض

ماجرت بالعادة من صور الاساره فى الكلام . وفيه بيان ماوقع

لابى شمر من الاف فى لزوم الانساره .

٣٠ المبحث السادس فى المختصر والعصا . وفيه بيان السهام العربية وبيان

ان من عادتهم اتخاذ المختصر والمعصى . وبيان ان الشووية وقعت

على العرب هذه العادة .

٣٤ المبحث السابع فى انواع الخطب عند العرب وهى عشرة

الاولى خطبة الجمعة .

الثانية خطبة العيد . وفيه بيان ان خطب النداء والامراء

غير مقصورة على اجمع والاعياد . وفيه ذكر خطبتين الامم على

كرم الله وجهه .

٣٦ الثالثة خطبة الصباح .

٤١ الرابعة خطبة الحمالة وفيه بيان ان خطاب الصباح غير خطاب الحمالة .

وان من عادتهم الاطالة فى مثل هذا الخطب

٣٧ الخامسة خطبة المواهب

٣٩ السادسة خطبة يوم الحفل . وفيه بيان ان خطب يوم الحفل غير

خطب الموسم وفيه ذكر خطبه لابي بكر الصديق رضى الله عنه

خطبها يوم السقيفة .

٤٠ السابعة خطبة بين السماطين وفيه ذكر خطبة لابي زهوان العلاني

عند سعيدين مسلم والى ارمينية .

٤١ الثامنة خطبة التأين وفيه ذكر خطبة لعائشة على قبر ابها رضى الله

عنهما وذكر خطبة لفرغانة بنت اوس على قبر الاحنف بن قيس

صحيفة

وذكر خطبة لعمر بن عبدالعزيز على قبر ابنه عبدالملك وذكر
خطبة لابي ذر الهمداني على قبر ابنه ذر وذكر خطبة لاعرابية
على قبر ابنها .

٤٣ التاسعة خطبة الموسم وفيه بيان ما كان للعرب من المواسم والاسواق
وان اسواقهم كانت كندية علمية ومجتمعات لغوية ادبية وانهم كانوا
يخطبون في الموسم على رواحلهم . وفيه ذكر خبر قس بن ساعدة
عند النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه ذكر خطبة حجة الوداع وخطبة
قس بن ساعدة بالموسم . وذكر خطبة لابن عباس بالموسم .

٤٨ العاشرة خطبة النكاح . وفيه بيان ان من عادتهم ان يخطبوا وهم
قيام الا في خطبة النكاح وبيان ما لخطبة النكاح عندهم من المصداق
وتوجيه ابن المقفع لقول عمر في ذلك

٥٢ المبحث الثامن فيما يلحق الخطيب من البتر والشوء عندهم . وفيه
ذكر خطبة زياد البترآء

٥٦ المبحث التاسع في تمثيل الخطباء بالشعر وفيه ذكر خطبتين للحجاج
انشد فيهما ماثلا

٥٩ المبحث العاشر في منزلة الخطيب والشاعر عند العرب

٦١ المبحث الحادي عشر في ان الخطيب قد يكون شاعرا ايضا وفيه بيان
ان الخطيب غير الين البليغ وان الانسان قد يكون ذا بلاغة وبيان
ولا يكون مع ذلك خطيبا وان الذين جمعوا الخطابة والشعر قليل .
فمنهم عمرو بن الاعم

ومنهم قس بن ساعدة الياذي .

ومنهم زيد بن جندب

ومنهم البعيث المجاشعي .

ومنهم الكميث بن زيد الاسدي .

ومنهم الطرماح بن حكيم .

صحيفه

ومنهم عمران بن حطان .

ومنهم نصر بن سيار .

ومنهم بشار بن برد .

ومنهم العتابي

ومنهم سهل بن هارون .

ومنهم ابراهيم السندي .

ومنهم عبدالله بن شبرمة .

ومنهم ابو الاسود الدثلي .

٧٢ المبحث الثاني عشر فيما يعرض للخطيب من الرتج والحصر اثناء الخطبة . وفيه ذكر بعض من اصابهم الحصر في الخطابة من الخطباء الاولين . وفيه بيان ان عروض الرتج والحصر غير معيب وان المعيب انما هو الى والخطل .

٧٥ المبحث الثالث عشر في اللحن وذكر من وقع لهم اللحن من البلغاء الابناء وفيه بيان ان اللحن معيب بالخطابة محل باءاها وفيه اراد اعتراض على جعل اللحن معيبا في الخطابة والجواب عليه .
٨١ المبحث الرابع عشر في تخيير اللفظ وفيه بيان ان لكل مقام مفعالا وانا اذا قلنا بوجوب تخيير اللفظ فلسنا نرصد ان الخطيب يجب عليه ان يأتى بالكلام الجزل مطاقا .

٨٣ المبحث الخامس عشر في صعوبة موقف الخطيب وفيه بيان ان المقدم على الخطابة لا يخلو عن احدى مرتبتين .

٨٥ المبحث السادس عشر في ذكر بعض الخطباء وانسابهم واحوالهم فمنهم الخلفاء الراشدون ابوبكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

ومن الخطباء الذين ذكرهم الجاحظ الفضل بن عيسى الرقاشي . وابنه عبدالصمد بن الفضل وعمه يزيد بن ابان وابوه وجده .

- ومنه زبد بن علي بن الحسين .
 ومنهم سعيد بن العاصي وابنه عمرو بن سعيد الملقب بالاسدق
 وحفيده سعيد بن عمرو بن سعيد .
 ومنهم سهيل بن عمرو الاعلم .
 ومنهم ابو عمرو وابو سفيان ابا العلاء .
 ومنهم خالد بن سلمة الحزومي وهو ذوالشفة ودغفل بن حنظلة .
 ومنهم عبيدالله بن زياد بن ظبيان التيمي العائني .
 ومنهم عبدالله بن عباس .
 ومنهم داود بن علي وهو من خطباء بني هانم وكذلك سليمان بن
 جعفر والحر مكة .
 ومنهم خالد بن صموان الاهتمي وكذلك ابوه صموان بن عبدالله
 ابن الاهنم .
 ومنهم حنظلة بن ضرار الضبي . وكذلك منحور بن غيلان من بني ضبة .
 ومنهم قطري بن الفجاءة وهو من خطباء الخوارج .
 ومنهم ابن صديقة الخارجي .
 ومنهم الضحاك بن قيس وهو من ائمة الخوارج .
 ومن خطباء الخوارج وعلمائهم نصر بن ملحان وعمران بن حطان
 والمقطل فاضى عسكر الازارقة .
 ومن الخطباء معبد بن طوق الغنيري .
 ومن خطباء العرب سحبان وائل .
 ومنهم ابو عمار الطائي خطيب مذحج .
 ومنهم خويلد بن عمرو العسراء خطيب يوم الفجار .
 ومنهم كعب بن لؤي .
 ومنهم مرة بن فهم التليد .

- ومنهـم شبيب بن ستيبة بن عبدالله بن عبدالله بن الـاهـم .
 ومنهـم جعفر بن يحيى بن خالد .
 ومنهـم ثـمـامة بن اشـرس .
 ومنهـم ذرعة بن ضـمرة من بني هـلال بن عامر .
 ومنهـم الحجاج بن يوسف الثقفي .
 ومنهـم واصل بن عطاء المقاب بالغزال .
 ومن خطباء هذا العصر عبدالعزيز التونسي .
 ومنهـم الشيخ عبدالعزيز ساويش صاحب مجلة الهداية .
 ومنهـم الامير سـكيب ارسلان .
 ومنهـم الشيخ صالح الشريف التونسي .
 ومنهـم الشيخ اسعد سنقيـر .
 ومنهـم محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس بالشام .
 ومنهـم الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار بمصر .
 ومنهـم الشيخ مصطفى الغلاييني صاحب مجلة الانبراس ببيروت .
 ومنهـم فياكس فارس صاحب جريدة الاتحاد ببيروت .
 ومنهـم اسـكندر العازار .
 ومنهـم الياس طراد و ابراهيم الحوراني و انطون سـحـير و امين
 الريحان و بشارة الجوري صاحب جريدة البرق و داود مجـاعـص
 صاحب جريدة الحرية .
 ١٢٠ الميـحـث السـابـع عـشـر في ذكـر بـعض الخطب المشهورة .
 خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 خطبة لمعاوية بن ابي سفيان وقد اظهر الجاحظ العجب من نسبة
 هذه الخطبة الى معاوية وقد تعقبنا الجاحظ في ذلك .
 خطبة لعبدالله بن الـاهـم عند عمر بن عبدالعزيز .
 خطبة لعمر بن عبدالعزيز وهي آخر خطبة له .

صحیفہ

خطبة لابی حمزة الخارحی .

خطبة لقطري بن الفجاءة وهي تتضمن وصف الدنيا ووصف سكان القصور وصفا بديعا .

خطبة لعبد الله بن زياد بالبصرة .

خطبة لعبد الله بن زياد بالبصرة

خطبة ليزيد بن الوليد وهي التي خطبها عقب قتله ابن عمه الوليد بن يزيد وهي خطبة بديعة في بابها قد رسم فيها يزيد للامة خطته التي مجرى عليها في خلافته .

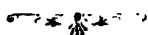
خطبة للحجاج بعد دبر الجماجم .

خطبة اخرى للحجاج ايضا . وقد اظهرنا من هذه الخطبة العجب
كما اظهر الجاحظ العجب من خطبة معاوية .

خطبة اخرى لابي حمزة الخارجي يوضح فيها اهل المدينة .

خطبة لواصل بن عطاء وهي خالية من الرءاء .

المبحث الثامن عشر في المنهج الذي يجب على من زاول الخطابة ان يتبعه وفيه كلام بشرين المعتمر في تعلم الخطابة .



جدول

يتضمن اصلاح ما في الكتاب من الاغلاط

صواب	خطأ	سطر	تصحيفه
حمد الله	حمد لله	١	٣
القائل	الفائل	١٠	٥
قاعدهم	فاعدهم	١٥	٦
فيما يأتي	فيما يأتى	٢٢	٩
اذا حققته	اذا حققته	٩	١٠
صالحنا	صالحنا	٢	١٢
وسنأتى	وسنأتى	١٣	١٤
فادرون	فادرون	١٤	١٨
يربد	يزبد	٦	١٩
الصغير	الصغير	١٨	٢٢
المتيم	الميم	١١	٢٦
القلب	القب	٢٠	٢٦
مفاتيح	مفاتيح	١٤	٣٨
لايعنى عك	لايعنى عفتك	١٥	٣٨
انفه	انفة	٩	٥١
امتك	امتك	١٥	٥١
لم توشح	لم توشح	٥	٥٣
نقبناء	نقبناء	١٩	٥٤
منها	ومنها	١١	٥٦
ووقفك	ووقفك	١٨	٥٧
فقر	ققر	٥	٦٤
الصغريه	الصغريه	١٢	٦٥

صواب	خطأ	سطر	صحيفه
قلبك	قبلك	٦	٦٦
الأكيمه	الأكيمه	١٤	٦٨
يستعصى	يستعصى	١١	٧٢
فلما	لما	٢٤	٧٣
يرزق	ق	٢٤	٧٣
قاتها	قلنها	٢	٧٥
قفأها	قعأها	١٦	٧٥
والعجب	٠	٥	٧٦
قال	فال	١١	٧٦
فاخلفتم	فاخلعتم	٧	٧٧
وبقرب	ويقرب	٢٣	٨٠
القيح	الفيح	٧	٨٢
الفاترة	العاترة	٢٢	٨٢
لفلان	لعلان	٢٥	٨٢
ماتصع	ماتصع	١	٨٦
وابوه	وبوه	١٢	٨٦
قنزل	قتزل	١٣	٨٦
عليهم	عليهم	٩	٨٧
أفانم	أفانم	١٧	٨٧
الغفارى	الغعارى	٤	٩٠
والزبرقان	والزبرفان	١٥	٩٠
ولقد	ولعد	١٩	٩٠
فسؤتى	فسؤتى	١٦	٩١
المتحدثينا	المتحدثينا	١٩	٩١

صحيفه	سطر	خطاً	صواب
۹۴	۱۰	ومن قال	ومن قال
۹۶	۱۱	حفي	حقي
۹۶	۲۱	لازاني	لا تراني
۹۹	۷	خطيبا	خطيبا
۹۹	۱۱	ابن	ابن
۱۰۰	۲۰	جزام	جذام
۱۰۱	۱۲	لطنها	لطانها
۱۰۱	۱۲	خرقها	لخرقها
۱۰۳	۱۱	فاتم	فاسم
۱۰۴	۱۷	اشربه	اشربها
۱۰۶	۸	قنالا	قنالا
۱۰۸	۱۸	بله	بانغه
۱۱۱	۱۳	مايين عيني	جلدة مايين عيني

جدول

ينضمن اصلاح ما في الكتاب من الاغلاط

صحيحة	سطر	خطاً	صواب
٣	١	حمد لله	حمداً لله
٥	١٠	الفائل	القائل
٦	١٥	قاعدهم	قاعدهم
٩	٢٢	فيما يأتى	فيما يأتى
١٠	٩	إذا حققتة	إذا حققتة
١٢	٢	صاعنا	صلفنا
١٤	١٣	وسناً نى	وسناً تى
١٨	١٤	فادرون	فادرون
١٩	٦	يزبد	ربد
٢٢	١٨	الصغير	الصغير
٢٦	١١	الميم	المتيم
٢٦	٢٠	القب	القلب
٣٨	١٤	مفاتيح	مفاتيح
٣٨	١٥	لا يعنى عفك	لا يعنى عد
٥١	٩	انفة	انفه
٥١	١٥	امثك	امتك
٥٣	٥	لم توتسخ	لم توتسخ
٥٤	١٩	نقبناء	نقبنا
٥٦	١١	ومنها	منها
٥٧	١٨	ووقفك	ووقفك
٦٤	٥	ققر	فقر
٦٥	١٢	الصغريه	الصغريه

صواب	خطأ	سطر	صحيفه
قلبك	قلبك	٦	٦٦
الاكيمة	الاكيمة	١٤	٦٨
يستعصى	يستعصى	١١	٧٢
فلما	لما	٢٤	٧٣
يرزق	ق	٢٤	٧٣
قلتها	قلنها	٢	٧٥
قفأها	قعأها	١٦	٧٥
والعجب	٠	٥	٧٦
قال	قال	١١	٧٦
فاخلقتكم	فاخلقتكم	٧	٧٧
وبقرب	ويقرب	٢٣	٨٠
القييح	القييح	٧	٨٢
الفاترة	العارة	٢٢	٨٢
لفلان	لعلان	٢٥	٨٢
ماتصنع	ماتصع	١	٨٦
وابوه	وبوه	١٢	٨٦
فنزّل	قنزّل	١٣	٨٦
عليهم	عليهم	٩	٨٧
أفأتم	أفأتم	١٧	٨٧
الغفارى	الغعارى	٤	٩٠
والزبرقان	والزبرفان	١٥	٩٠
ولقد	ولعد	١٩	٩٠
فسؤتى	فسؤتى	١٦	٩١
المتحدثينا	المتحدثينا	١٩	٩١

صحیفہ	سطر	خطاً	سواب
۹۴	۱۰	ومن فال	ومن فاذ
۹۶	۱۱	حنی	حتی
۹۶	۲۱	لا ترانی	لا ترانی
۹۹	۷	خطیبا	خطیبا
۹۹	۱۱	أبن	أین
۱۰۰	۲۰	جزام	جذام
۱۰۱	۱۲	لطانها	لعانها
۱۰۱	۱۲	لخرقها	لخرقها
۱۰۳	۱۱	فاتیم	فانم
۱۰۴	۱۷	اشربه	اشربه
۱۰۶	۸	قنالا	قنالا
۱۰۸	۱۸	بله	باعه
۱۱۱	۱۳	ما بین عینی	جلدۃ ما بین عینی

